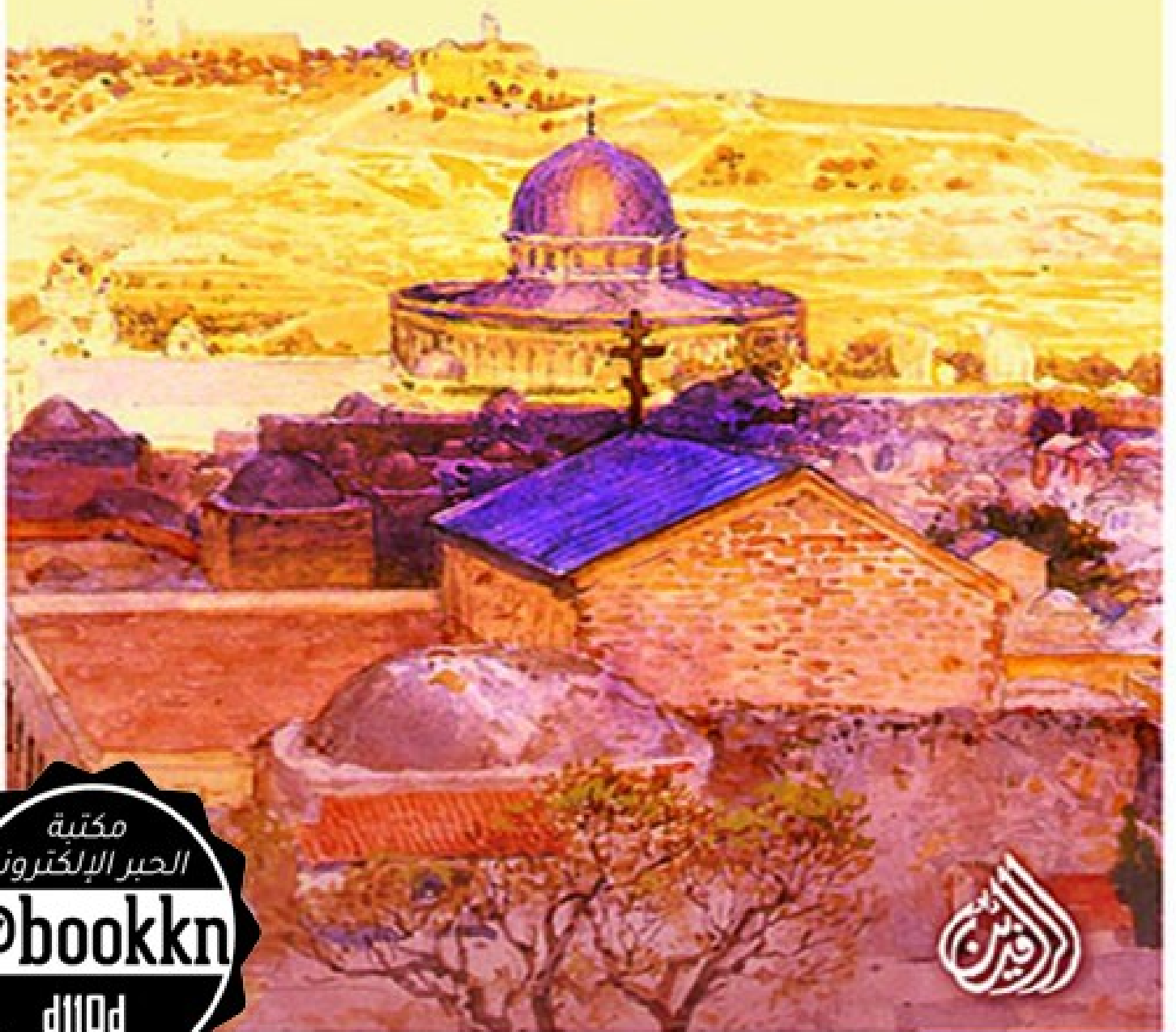


فاضل الربيعي

القدس ليست أورشليم

مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين القديم



مكتبة
الحبر الإلكتروني

@bookkn

٥١١٥٤



القدس ليست اورشليم

مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين القديم

القدس ليست أورشليم

فاضل الربيعي

Al-Qudos is not Jerusalem

By Fadel Al-Rubaie

الطبعة الثالثة المحدثّة: يوليو - تموز، 2020 (1000 نسخة)

Copyrights@Dar Al-Rafidain2020

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة / All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافة نابضة بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخة أصلية من هذا الكتاب واحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أي من أجزائه بأي شكل من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.



لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون: 961+ 1 541980 / 961+ 1 345683

بغداد - العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: +9647811005860 / +9647714440520

✉ daralrafidain@yahoo.com

✉ info@daralrafidain.com

🌐 www.daralrafidain.com

📘 dar alrafidain

📺 Dar.alrafidain

📺 @daralrafidain_1 دارالرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 623 - 90 - 0

القدس
ليست أورشليم
مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين القديم

فاضل الربيعي



www.daralrafidain.com

الفهرس

7	مقدمة الطبعة الأولى
11	الفصل الأول: نقد أسطورة التماثل بين أسماء الأماكن في التوراة وجغرافية فلسطين
39	الفصل الثاني: قدس التوراة ليست قدس فلسطين
61	الفصل الثالث: إعادة بناء أورشليم في سرة اليمين
81	الفصل الرابع: صورة الفلسطيني في التوراة
99	الفصل الخامس: أورشليم الرومانية في «بلاد اليهودية القديمة»
145	الفصل السادس: بيت بوس واكتشاف أورشليم
169	مصادر ومراجع الكتاب
171	سيرة ذاتية

مقدمة الطبعة الأولى

هل القدس التي يُزعم أن اسمها ورد في التوراة، هي ذاتها المدينة التي ذكرها كتاب اليهودية المقدس باسم «أورشليم»، وأن الاسمين معاً، يدلّان على مكان واحد بعينه كما تقول الرواية الإسرائيلية المعاصرة؟ ولكن، هل ذكرت التوراة حقاً، بأيّ صيغة من الصيغ المفترضة، اسم «القدس» - بألف ولام التعريف العربية -؟ وهل يتطابق وصف التوراة لها مع وصف أورشليم، وبحيث يجوز لنا مطابقة المكانين وعدّهما مكاناً واحداً؟

ما أريد إثارته في هذه الأطروحة النظرية هو الآتي:

إن التوراة لم تذكر اسم فلسطين أو الفلسطينيين قط، وأنها لم تأتِ على ذكر «القدس» بأي صورة من الصور. وكل ما يُقال عن أن المكان الوارد ذكره في التوراة باسم «قدس - قدس» قُصدَ به المدينة العربية، أمر يتنافى مع الحقيقة التاريخية والتوصيف الجغرافي ولا صلة له بالعلم لا من قريب ولا من بعيد. كما أن التوراة لا تقول البتة، أن قدس التي وصلها بنو إسرائيل بعد رحلة التيه هي أورشليم؟ لقد حامت الشُّبهات - بالنسبة لي - حول هذه البديهة الشائعة في المؤلفات التاريخية والسياسية في العالم كله، منذ أن قمت، وطوال سنوات من العمل الشاق، بإعادة تركيب وبناء الرواية التوراتية عن التاريخ الفلسطيني استناداً إلى النص العبري، حيث تكشفَت أمامي حقائق مذهلة غيّبها المخيال الاستشراقي السقيم طوال القرنين الماضيين، وذلك عبر الترويج الزائف لأسطورة أرض الميعاد اليهودي. والمدّش، أن هذا الكشف - الذي أقدمه اليوم تطويراً للنظرية التي عرضتها في مؤلفي السابق فلسطين المتخيّلة: أرض التوراة في اليمن القديم¹ - قد لا يكون صادمًا لوجدان اليهود المتعصبين والتوراتيين والاستشراقيين وحسب؛ بل ربما يكون صادمًا أيضاً، للوجدان الفلسطيني والعربي والإسلامي على حدّ سواء، ما دامت الفكرة الرائجة التي تقول إن اسم القدس ورد في

التوراة، هي فكرة مغرية وجذابة في الثقافة الروحية، يصعب المس بها أو تعديلها لتتوافق مع التاريخ المتحقق، وذلك نظراً لارتباطها بالجانب العاطفي لا التاريخي من مسألة قدسية وقدم المدينة القديمة. ويمكن للمرء أن يخمن بسهولة، مقدار الصعوبة في مراجعة هذا النوع من الصور والأفكار الأثرية.

بيد أن الحقيقة التاريخية عن قدم القدس و«قدسيته»، المؤكدة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين كافة، هما أمران مُسلم بهما ولا يستوجبان بأي شكل من الأشكال، الاستعانة بالتوراة، أو بما يزعم أنه نصوص توراتية ورد فيها ذكر القدس من أجل التأكيد على هذا الجانب؛ بل على العكس من ذلك، ربما تكون الاستعانة بالتوراة ضرورية فقط، من أجل البرهنة على أن الكتاب المقدس لليهودية يتحدث عن «قدس» أخرى عرفها شعب بني إسرائيل، لا علاقة لها بالقدس العربية - بألف ولام -.

إن أكثر ما يجب أن يثير اهتمامنا اليوم حول هذه المسألة، هو البحث من داخل النص العبري عن الدليل الذي استخدمه التوراتيون للترويج لأسطورة تطابق القدس وأورشليم، وبالتالي دحض الأفكار والصور الاستشراقية التي سادت في علم الآثار عن هذا التطابق. ومن غير شك؛ فإن إثارة النقاش حول نوع وطبيعة التزوير الفاضح الذي تعرض له تاريخ القدس العربية على أيدي علماء الآثار من التيار التوراتي، سيكون ضرورياً للغاية من أجل تقديم مساهمة جديدة لتصحيح تاريخ فلسطين القديم برمته؛ فهذا التاريخ كان عُرضة للتزوير والتلاعب بصورة مروعة، يشعر معها المرء بالحيرة والعجز حيال إمكانية تطويق النتائج التي رسخت بسببه في ذاكرات الملايين من البشر. إن المساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين القديمة، تتطلب من عموم القراء إمعان الفكر ملياً بالأدلة المقدمة والانفتاح عليها والتعامل معها بروح العلم لا العاطفة والأحكام المسبقة. ويمكن للمرء، إذا كان من المشتغلين في حقل التاريخ، أن يقدم بسهولة وفي مناسبة كبرى من نوع اعتبار القدس عاصمة للثقافة العربية؛ تقريراً تاريخياً احتفالياً بالمدينة المقدسة، يكرر فيه ما هو رائج في المؤلفات والكثير منها مبني على قصص التوراة. لكن الأهم من الاحتفاء الثقافي بتاريخية المدينة المقدسة، أن يجرؤ - المرء نفسه - على قلب الحقيقة المزيفة رأساً على عقب، وأن يعيد النقاش العلمي برمته إلى نقطة البداية: كيف، ولماذا جرت المطابقة التعسفية وما الغرض منها؟ وهذا ما أرغب في تقديمه كمساهمة في هذه المناسبة. لقد كانت فلسطين وما تزال، ضحية تلاعب - بالتاريخ القديم - يرقى إلى مستوى العبث غير الأخلاقي بالحقائق الجغرافية والتاريخية. وفي مناسبة من هذا النوع، جدير بنا أيضاً، أن نقوم ودون تردد

بفضح العبث الاستراتيجي الذي جرى على أيدي علماء آثار ومحققين وكتاب تاريخ، وطوال أكثر من مائة عام، لا بهذه الحقيقة وحدها، وإنما بنظام السرد التاريخي كذلك، للأحداث والمرويات والقصص التي روتها التوراة، وزُعم أنها دارت فوق أرض فلسطين.

وإذا كان لا بد من قولٍ يختصرُ فكرة الكتاب ويُحدِّدُها ضمن إطار واضح؛ فإن المؤلف يرغب في التشديد على التالي:

هذه «قدسنا» القديمة، وهي ليست - ولم تكن تدعى - أورشليم.

فاضل الربيعي

دمشق 2009

الفصل الأول

نقد أسطورة التماثل بين أسماء الأماكن في التوراة وجغرافية فلسطين

لا تقوم الرواية الإسرائيلية المعاصرة، والقائلة أن فلسطين هي «أرض الميعاد اليهودي» وأن «مملكة إسرائيل القديمة التي أقام فيها شعب إسرائيل» تقع في فلسطين التاريخية، إلا على أساس واحد من المماثلة الشكلية والتعسفية، والباطلة كذلك، بين الأرض التي وصفها التوراة في النص العبري، وأرض فلسطين التاريخية. لقد تأسست، طبقاً لهذا الزعم غير التاريخي، فكرة زائفة أخرى موازية، تُطابق بين القدس العربية - الإسلامية، وبين أورشليم الوارد ذكرها في التوراة. وبذلك، تكون الرواية الإسرائيلية المعاصرة عن التماثل في أسماء الأماكن، قد تأسست في الأصل، على أرضية مُطابقةٍ ماكِرةٍ ومخادعةٍ لا مثيل لها، بين «أورشليم» و«القدس»، حين اعتبرتَهما المكان نفسه الذي وصفته التوراة. إن نقد الرواية الإسرائيلية بالأدوات ذاتها التي استخدمها المخيال الغربي الاستشراقي، هو السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله، البرهنة على بطلان هذه الرواية من أساسها. لقد بيّنت تحقيقاتي والعمل الدراسي الشاق الذي قمت به في مؤلفي (فلسطين المتخيلة - مصدر مذكور) أن فلسطين لم تعرف في أي وقت من تاريخها القديم قط، الأرض التي وصفها التوراة، وأن القدس العربية لم تكن تدعى في أي وقت من الأوقات بـ«أورشليم». كما أن التوراة لم تأتِ على ذكر الفلسطينيين أو فلسطين. ولذلك؛ فإن المطابقة التي روج لها المخيال الاستشراقي، استناداً إلى قراءة مغلوطة للنص التوراتي، هي التي أدت إلى شيوع هذه الأفكار والتصورات الخاطئة. وما سأقوم به اليوم ليس تكراراً لما قمت به في مؤلفي السابق؛ بل هو محاولة ثانية تتواصل مع النتائج التي خرجت بها. ولذا، ومنعاً لكل وأي التباس قد ينجم عن هذه الفكرة المثيرة،

فسوف أعيد التأكيد على الأسس التي تشكل جوهر الأطروحة الجديدة: أن القدس الموصوفة في التوراة (وطبقاً للنص العبري) لا علاقة لها بالقدس العربية على وجه الإطلاق. وبهذا المعنى وحده، فالقدس ليست هي أورشليم كما يُزعم في الدراسات الكتابية المعاصرة (من الكتاب المقدس).

لقد كان اسمها التاريخي الذي عرفه العرب في الجاهلية ثم مع الإسلام، يتداخل مع اسم «بيت المقدس» فيدل أحدهما على الآخر. وفضلاً عن هذا؛ فإن التوراة، كما سوف نبين بالأدلة القاطعة، لا تقول بأي صيغة من الصيغ المحتملة، أن القدس هي أورشليم. وعلى العكس من هذا الزعم الضعيف والتمهات الذي روج له المخيال الغربي الاستشراقي؛ فإن النص التوراتي يميز بدقة متناهية بين مكانين منفصلين لا صلة بينهما، يدعى أحدهما قَدَش - قَدَس (بفتح الحرف الأول والثاني من الاسم - والسين والشين في العبرية حرف واحد عند النطق) فيما يدعى الآخر أورشليم، وهما مكانان لا رابط بينهما على مستوى الجغرافيا أو على مستوى الثقافة الدينية، فالأول وكما يتضح من وصف التوراة، جبل شامخ تم تقديسه (تطهيره) أو تحريره فسمي (قَدَش - قَدَس)². أما الاسم الآخر (أورشليم) فاسم لمدينة من المدن، يتكرر حضورها في نصوص مختلفة من التوراة، دون أي رابط جغرافي مع الجبل. بكلام آخر؛ فإن التوراة تطلق على مكان بعينه اسم «أورشليم» ولا تقول عنه، قط، ولا بأي شكل من الأشكال، أن المقصود منه القدس (أو قَدَش). وهذا يعني أن شعب بني إسرائيل القديم، وهو من الشعوب والقبائل العربية البائدة، وطبقاً للرواية التوراتية، عرف مدينة باسم أورشليم، كما عرف مكاناً آخر باسم قَدَش - قدس. وإلى هذا كله، فسوف يكون أمراً مدهشاً، عندما نخبرنا التوراة عن وجود ثلاثة أماكن، كلٍ منها لا يشبه الآخر، عرفها شعب بني إسرائيل باسم «قَدَش - قَدَس»، وليس مكاناً واحداً؟

والمثير أن كل مكان (موضع) من هذه الأماكن الثلاثة، هو جبل بعينه له جغرافيته الخاصة به. وبالطبع لا توجد في جغرافية فلسطين التاريخية مثل هذه الأماكن. إن الفضاء الجغرافي الوحيد الذي ضمّ في الماضي البعيد ثلاثة أماكن لها الاسم نفسه، هي الأرض الممتدة من وادي الرمة حتى جنوب مدينة تعز اليمنية. وذلك ما يفسّر لنا مغزى وجود أسماء مدن يمنية وأسماء قبائل وشعوب عربية بائدة في قصص التوراة، مثل عدن، وحضر موت وما يُزعم أنه وادي الرمة، وهو برأبي وبحسب تحقيقاتي للنصوص، هو جبل ريمة، وهذه سلسلة جبال تعرف اليوم بمحافظة ريمة وتسمى اليوم ريمة حميد» قرب صنعاء). ولعل وصف التوراة الدقيق لجبل قَدَش - قَدَش من النوع الذي لا يقبل أي تأويل مغاير، لأنه وصف واضح لجبل وليس لمدينة، وهو يشير في آنٍ واحد إلى جبل بعينه

وإلى موضعين آخرين، لا يُدعى أي منها «أورشليم». وهذا ما لا ينطبق على وصف القدس العربية لا من قريب ولا من بعيد. ولأن النص يتحدث عن جبل شامخ وليس عن مدينة؛ فإن من غير المنطقي مطابقة القدس العربية التاريخية بقدش - قدس الوارد ذكرها في التوراة.

كما أن القدس العربية ليست جبلاً ولا تقع في جبل، وهي بكل يقين ليست فوق جبل، وفضلاً عن هذا كله، فلا وجود في جوارها القريب أو البعيد، لجبل بهذا الاسم يمكن أن ينسب إليها وتعرف به. وللتذكير؛ فإن المتطرفين وغلاة اليهود الغربيين، يصرون على وصف التوراة هذا، وهم يقولون إنها فوق جبل (ولذلك ظهرت جماعة أمناء جبل الهيكل التي تقول إن هيكل الرب الذي بناه سليمان هو في القدس العربية أي فوق جبل، هذا برغم أن القدس العربية تقع فوق هضبتين مرتفعتين). والمدمش أكثر، أن النص التوراتي يتحدث عن سقوط أورشليم بعد أن هاجمها الملك داود من جبل يدعى جبل صهيون، وأن داود أطلق اسمه على الجبل - الحصن الذي استولى عليه، فصار اسمه «مدينة داود». وبالطبع لا يوجد في طول فلسطين وعرضها جبل يدعى جبل صهيون. والجغرافيون العرب ومعهم جغرافيو اليونان الذين وصفوا بلاد الشام في حقبة وفترات مختلفة من التاريخ، لم يذكروا قط اسم جبل في جنوب سورية يدعى جبل صهيون، كما لم يذكروا أي شيء عن بلاد تدعى «اليهودية»، قامت في أي وقت فوق أرض فلسطين. ومن المؤكد أن اسم جبل صهيون في الذاكرات الوطنية العربية، اسم يثير الفضول والريبة والحيرة والسخط في آن واحد، لأنه يرتبط باسم «الحركة الصهيونية». لكن، ماذا، لو أننا قلبنا هذا المزاج السيئ رأساً على عقب، وقلبنا معه التاريخ الملقق والجغرافيا المزورة، وبرهنا أن جبل صهيون جبل عربي شامخ من جبال اليمن، وأن الشعر الجاهلي تغنى به وذكره بالارتباط مع سلسلة أماكن بعضها في محافظة إب وفي صورة جبل صيوان - صهيون بإسقاط الهاء الحميرية مثل يرعش - يهرعش، وبعضها الآخر في منطقة نجران وليس فلسطين وليس بفلسطين؟

ولذلك، سنقوم بإعادة بناء الرواية التوراتية عن سقوط أورشليم، تمهيداً لتقديم البرهان على الأمور المترابطة التالية:

أولاً: إن قدس - قدش الوارد ذكرها في التوراة حسب الزعم الاستشراقي، ليست القدس العربية التي نعرفها، وهي لا تدعى أورشليم قط.

ثانياً: والقدس المُدعى أن التوراة سجلت اسمها، لم تذكر قط إلا في صورة «جبل قَدش» وقصد به مكان واحد، هو قدس المعافر. وهو قدس المعافر في محافظة تعز ويدعى حتى اليوم بصيغته العبرية القديمة قدس - قدش.

ثالثاً: كما أن القدس ليست فوق جبل ولا قرب جبل، بينما تصفها التوراة كجبل؟

رابعاً: وأن جبل صهيون الذي يؤدي إلى أورشليم لا وجود له في فلسطين. ومن غير المنطقي تخيل اختفاء جبل من الجغرافيا، أو زوال اسمه أو تحول طريقة نطقه، بينما يزعم التوراتيون أن كل الأسماء الواردة في التوراة صمدت على مر الزمن، وأنها لا تزال موجودة في فلسطين منذ ألفي عام، برغم أن الكثير منها مجرد آبار قديمة أو ينابيع وعيون ماء أو قرى يسهل زوالها ونسيان أسمائها؟

خامساً: وأن التوراة لم تذكر اسم فلسطين قط، كما لم تُشر أو تلمح مجرد تلميح إلى اسم الفلسطينيين. وكل ما يُزعم ويُقال عن وجود أي ذكر لهما في كتاب اليهودية المقدس، إنما يدخل في باب الخيال الاستشراقي الاستعماري الذي تم توظيفه بدهاء من أجل تبرير عملية «تهويد القدس».

وعلى هذا الطريق، سوف نقوم - في سياق تحليل هذا الترابط ومغزاه - بإعادة بناء الرواية الجغرافية التوراتية (واستطراداً إعادة بناء الرواية التاريخية) بهدف تقديم مساهمة جديدة في تصحيح تاريخ فلسطين القديم، وتهذيبه وتخليصه من الشوائب التوراتية والاستشراقية. لقد بات هذا التاريخ موضوعاً مُلتبساً، مع تصاعد الصراع واحتدامه ضد محاولات تهويد المدينة، وسيغدو شائكاً أكثر ويصعب فهمه بصورة صحيحة من دون عمل علمي، يبرهن فيه المسلمون جميعاً، أن ما ورد في التوراة لا يتطابق مع وصف القدس العربية. وللتدليل على نوع ومقدار الصعوبة في فهم التاريخ القديم لفلسطين، واستحالة إيجاد أرضية مناسبة يتحقق فيها الانسجام المطلوب بين أحداث التاريخ والتوصيفات الجغرافية، فسوف أعطي المثال التالي: إذا ما قبلنا - لأغراض السجال العلمي وحسب - المزاعم الرائجة والقائلة، إن التاريخ المروي في التوراة هو تاريخ فلسطين القديمة، فكيف يجوز لنا في هذه الحالة، إغفال حقيقة أن الجغرافيا الموصوفة تتحدث عن عدن وحضرموت وصنعاء (أوزال - الاسم القديم لصنعاء وقد ذكرته التوراة - سفر التكوين بالصيغة ذاتها)؟ وما علاقة الأحداث التي دارت هناك بتاريخ فلسطين القديم؟ وفي الواقع، سيكون أمراً عسيراً على الفهم، وغير مقبول علمياً، تجاهل هذا التناقض.

بيد أن ما يبدو تناقضاً في النص التوراتي، ليس تناقضاً مؤكداً - فالتوراة تقدم وصفاً دقيقاً بالارتباط مع أحداث بعينها، ليس فيها أي قدر من التباين - بمقدار ما فيها التباس ناجم عن قراءة استشرافية، طابقت بشكل تعسفي بين تاريخ فلسطين القديم وأحداث التوراة. وبكلام مواز، فالتوراة - وبالطريقة التي جرى فيها تأويلها - هي نتاج مخيلة أوروبية استعمارية. ولذلك، يجب أن نعود إلى النص العبري لأجل تفكيكه وإعادة بناء روايته. ولهذا الغرض، فسوف نقوم بإعادة تحليل وتركيب قصة سقوط أورشليم على يد داود الملك.

رواية التوراة عن سقوط أورشليم وجبل صهيون

نعلم من روايات التوراة المتفرقة، أن أورشليم سقطت في يد داود الملك، بعد أن استولى على مدينة جبيلية بالقرب منها وتقع في عزلة جبيلية حصينة تدعى بيت بوس. لقد مهد سقوط بيت بوس، بحسب رواية سفر صموئيل النبي، وهو المعروف عند الإخباريين العرب بالسموأل اليهودي؛ الطريق أمام الملك داود لطرد سكانها اليبوسيين والاستيلاء عليها. ولذا، فالمدينة التي سقطت في قبضة داود بعد بيت بوس هي التي تسمى في نص صموئيل «مدينة أورشليم». وفي الواقع لا توجد مدينة فلسطينية قديمة قرب القدس العربية تدعى بيت بوس، يمكن عند الاستيلاء عليها وطرد سكانها، الاستيلاء على القدس؟ والمثير للاهتمام في نطاق هذه الرواية، أن النص الذي كتبه صموئيل عن أحداث سقوط أورشليم في قبضة داود الملك، يشير إلى أن المدينة هي في الطريق إلى مدينة (رَبَّة) عاصمة العمونيين. والملاحظة الأولى التي تستوقف كل قارئ للنصوص العبرية في هذا النطاق المحدود من السرد التاريخي، أنها تستعمل الفعل الماضي الناقص (هيء) بمعنى (كان) في الإشارة إلى بيت بوس؛ إذ تقول في أكثر من موضع (وبيت بوس - هيء - يروشلם) أي (بيت بوس وكانت أورشليم). وهذا يعني أن بيت بوس كانت في عصر داود مدينة حصينة تؤدي إلى أورشليم، بمعنى (دار السلام). لكن داود بعد انتصاره قرر أن يطلق اسمه فقط على حصن المدينة الذي كان يدعى صهيون، ليصبح «مدينة داود». وصموئيل 2 يقول عن هذه المعركة ما يلي (النص العبري 2: 5: 6):

וַיִּלֶךְ הַמֶּלֶךְ וַאֲנָשָׁיו יְרוּשָׁלַם, אֶל-הַיְבֵסִי יוֹשֵׁב הָאָרֶץ; וַיֹּאמֶר
לְדָוִד לֹא מֶר, לֹא-תְבֹאָה הַנָּה, כִּי אִם-הִסִּירָהּ הָעֹרִים וְהַפְּסָחִים

לֹא־מֵרָחֹק, לֹא־יָבוֹא דָוִד הַזֶּה. 6 וַיִּלְכֹּד דָּוִד, אֶת מִצְדַּת צִיּוֹן--
הִיא, עִיר דָּוִד.

ו-י - ל - כ - ד - ה - מ - ל - כ - ע - ש - י - ו - י - ר
- وش - ل - م - ع - ب - و-سي³ - و-ي - وش - ب - ه - ع -
رص - دود - م - ل - ك - ع - م - ص - د - ه - ص - ي - و -
ن - ه - ي - ع - ي - ر - دود)

يقول النص حرفياً ما يأتي:

(واستولى الملك ورجاله على اورشليم يبوسي وطرد سكانها من الأرض، وأخذ داود الملك
حصن صيَّون فأصبح اسمه مضارب داود)

وسوف يفهم كل قارئ لهذا النص، وبسهولة، أن داود استولى على مدينة تدعى بيت بوس،
لكنها كانت «أورشليم» أي مدينة مسالمين آمنين متدينين. أو كما يقال في الموارد العربية: دار سلام.
وهذا النص ينفي نفيّاً قاطعاً أن تكون أورشليم هي القدس أو هي قَدَش כּדֶשׁ - قَدَس، كما أنه يؤكد
وجودها قرب أو في الطريق إلى جبل صهيون (صيون والهاء الوسطية حرف صوتي كما في كلام
أهل اليمن: يريق الماء - يهريق الماء). وبالطبع فالقدس العربية لا تقع قرب جبل صهيون - صيون،
ولم تكن تدعى بيت بوس أو أورشليم.

فأين وقعت المعركة؟ هل وقعت في فلسطين أم في مكان آخر؟ ومن أين جاء المخيال
الاستشراقي بفكرة وجود تطابق وتماتل بين اسمي المدينتين؟ في الواقع لا يوجد مكان، أو موضع أو
جبل يدعى جبل صهيون في أي بقعة من العالم القديم، سوى الجبل المعروف عند العرب باسم جبل
صهيون، وهو حصن منيع بالفعل، يوصل سلسلة جبال السرّ بنجران في سَرْو جَمِير إلى الشرق من
صنعاء. واليمنيون يقولون في المأثور الشعبي حتى اليوم (كل بوسي يهودي وكل يهودي بوسي).

وذلك في إشارة إلى بيت بوس اليمنية التي كان سكانها على دين اليهودية، وهي مكان جبلي
حصين، وصفها الهمداني وصفاً دقيقاً ومسهباً في كتابه (صفة جزيرة العرب) وتامماً كما في النص

التوراتي.

إليك وصف الهمداني لبيت بوس (صفة جزيرة العرب: 154 - 156):

ثم الجوف وهو منفهق من الأرض بين جبلين، فيه أنف وأوبن وما أقبل من (مياه) من عدّ - ورد، وهو وادٍ يصب مع سامك ودبرة، إلى الحقلين والسهلين وما أقبل من أشراف نقيّل السود، فببيت بوس وجبل نقم وما بينهما من حقل صنعاء.

ويفهم من هذا النص، أن بيت بوس اليمنية مكان جبلي على الطريق المؤدي إلى صنعاء. وهذا الطريق، ويفضي إلى منطقة نجران أيضاً. علماً أن كل الأسماء الواردة في نص الهمداني، وكما برهنا في مؤلفنا (فلسطين المتخيلة) ترد في نصوص التوراة (حرفياً، مثل وادي دبرة وأنف وأوبن ونقم وصنعاء التي تسجل التوراة اسمها القديم أوزال وبنفس التسلسل). إن هذا التطابق المذهل بين النصوص التي سجلها الهمداني لجغرافية اليمن، ونصوص التوراة بلغتها الأصلية، يقطع بحقيقة أن التوراة تروي أحداثاً لا علاقة لها بالتاريخ الفلسطيني، كما تروي وتصف أماكن لا صلة بينها وبين جغرافية فلسطين. لقد سبق لي وأن بينت وبرهنت في مؤلفي السابق، أن التوراة كتاب إخباري - ديني من كتب يهود اليمن، لا صلة له بتاريخ وجغرافية فلسطين. وأستطيع اليوم أن أؤكد بالدليل القاطع، أن التوراة لم تأت على ذكر فلسطين، أو الفلسطينيين أو مدينة القدس، وأن كل ما يُزعم عن ذلك، يدخل في نطاق الدور الذي لعبه المخيال الاستشراقي الاستعماري في الترويج لأسطورة أرض الميعاد اليهودي. أما جبل صهيون الذي يؤدي إلى نجران من صنعاء، فيكفي أن نورد الواقعة التاريخية التالية التي توضح لنا أين يقع، وكيف ارتبطت به أحداث موثقة يعرفها تاريخ العرب القديم:

عندما صعد الملك اليمني اليهودي يوسف بن زرعة بن حمير الأصغر، المعروف عند المؤرخين العرب باسم (ذي نواس الحميري) في العام 524م إلى عرش اليمن، إثر مكيدة (انقلاب قصر) انتزع بواسطتها السلطة من أيدي الأسرة السبئية، أعلن على الفور عن عودة اليهودية إلى اليمن كله ديناً رسمياً داعياً اليمنيين جميعاً للعودة إلى دين آبائهم وأجدادهم. وهذه الواقعة يتوافق عليها كل المؤرخين العرب الكلاسيكيين.

إثر ذلك، قرر الملك اليميني اليهودي الزحف على نجران التي كانت المسيحية الوليدة فيها آنئذٍ، تتطور بسرعة مذهلة، حيث تنتشر وتقام على أرضها الكنائس الكبرى. ويبدو أن لانتشار المسيحية الشرقية على المذهبيين النسطوري والمونوفيزي في نجران، صلة حميمة بتصاعد المشاعر المعادية لها في اليمن. كما أن لهذا الانتشار صلة موازية في يقظة مشاعر اليمنيين للعودة إلى اليهودية. وبذلك نشأ في هذا الوقت، وقبل ظهور الإسلام بأكثر من نصف قرن على الأقل، وضع ديني وسياسي معقد ساهم في تقاوم التوتر الديني بين العاصمتين اليمنية والنجرانية. وفي هذا الوقت، وحين كان الملك اليميني - المتهوّد - يستعد للزحف نحو العاصمة المسيحية في الجنوب الغربي من جزيرة العرب، كان الأعشى الهمداني، اليميني (النصراني المتعاطف مع أساقفة نجران) يسافر على عجل، ويلتقي أساقفتها من بني كعب من بلحارث، مُحذراً من حربٍ يعدُّ لها يهود اليمن. وفي هذا اللقاء قال الأعشى قصيدته الشهيرة التي حذر فيها عبد المسيح بن الديان أسقف نجران العظيم⁴، وشقيقه ومساعدته وراعي كنيسته يزيد قائلاً:

أيا سيديّ نجران لا أوصينكما بنجرانَ خيراً فيما نابها واعتراكما

فإنْ تفعلّا خيراً وترتديا به فإنكما أهل لذاك كلاكما

وإنْ تكفيا نجران أمرَ عظيمةً فقبلكما ما سادها أبواكما

وإنْ أجلبت صهيون يوماً عليكم فإن رحي الحرب الدكوك رحاكما

وفي نطاق هذه الحرب، وقع الحادث التاريخي الذي سجله القرآن الكريم في (آية الأخدود) من سورة البروج. قال تعالى: [قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ]. وهي الآية التي سجلت لحظة الاضطهاد اليهودي لنصارى نجران، حيث رُمي ما يزيد عن 16 ألف نصراني في أخدود من نار، فكانت محرقة عظيمة لم يعرفها التاريخ من قبل. لقد اهتز وجدان العرب في الجزيرة والبادية، وهم يتلقون أنباء الاضطهاد الذي تعرض له نصارى نجران، ورأوا فيه نذر حرب دينية مخيفة.

ولذلك؛ فإن رواية الأخبار القدامى ممن رَووا القصة - والتي سجلتها وثائق الكنيسة بدقة - كانوا يعرفون جغرافية الحدث التاريخي، ويعرفون جيداً جبل صهيون الذي هبط منه جنود الملك

اليهودي ذي نواس الحميري، ليتجهوا منه مباشرة نحو نجران. وبالطبع فمن غير المنطقي الافتراض أن جبل صهيون كان في هذا الوقت من التاريخ ضمن جغرافية فلسطين، وأنها هي التي هاجمت نجران وأحرقت النصارى، فالتاريخ لا يعرف واقعة من هذا النوع، والأدق والأقرب إلى الحقيقة التاريخية والمنطق، أن اليمن اليهودية هي التي هاجمت نجران. وهذا نزاع قديم سجلته التوراة في مواضع كثيرة. ونجران كما برهنا في مؤلفنا السابق، كانت تدعى (ربة) تماماً كما في التوراة، والعرب القدماء كما نعلم، كانوا يسمون نجران (ربة نجران) ويتحدثون عن كعبتها المسماة كعبة نجران. وحتى اليوم لا تزال هناك عائلات سورية من أهل الشام تحمل اسم صهيون نسبة إلى الجبل - في تأكيد صريح لأصولهم العربية اليمنية القديمة -.

بيت بوس وأورشليم والقدس

إن نص صموئيل وسائر النصوص التي تحدثت عن أورشليم، تصف المدينة وجغرافيتها الجبلية بدقة، حيث سلسلة الوديان والجبال المحيطة والمرتبطة بها. وبالطبع، ليس لدى التوراتيين أي دليل عن وجود بيت بوس فلسطينية محاطة بجبال ووديان، أو أنها تؤدي إلى حصن جبلي منيع يدعى صهيون. هاكم وصف الهمداني للمكان (صفة جزيرة العرب):

بيت بوس يُنسب إلى القيل اليمني ذي بوس (ذي بواس) بن شراحيل. حصن منيع ووادٍ فيه بعض الفواكه ويقع إلى الغرب الجنوبي من صنعاء بمسافة ساعتين.

لدينا في هذا النص ما يؤكد بشكل قاطع، وجود مكان جبلي بالوصف ذاته الوارد في التوراة ويدعى بيت بوس، وهو يرتبط بسلسلة جبلية تؤدي بدورها إلى جبل صهيون الوارد ذكره في شعر الأعشى، حيث يمكن للسائر هناك أن يهبط نحو نجران.

والمثير للاهتمام أن بيت بوس هذه، وبالوصف الوارد عند الهمداني، هي مدينة آمنة (حصينة) أي أنها «أورشليم» بمعنى المدينة التي تعيش آمنة، متنعمة بسلام من خطر الأعداء، بفضل وجودها في مكان جبلي وعرٍ وقاسٍ يصعب اقتحامه. ولنلاحظ أن كلاً من نص الهمداني ونص التوراة، يؤكد أن بيت بوس حصن منيع. لقد زعم التوراتيون وهم يفشلون في العثور على

בית בוס هذه، أنها ذاتها «يابوس» القرية الصغيرة في ضواحي دمشق. وهذا زعم باطل ولا أساس له، لأن القرية لا تؤدي إلى القدس العربية ولا تتصل بسلسلة جبلية تقضي إلى جبل صهيون.

مقاربة

نص التوراة	نص الهمداني
واستولى الملك ورجاله على أرض اليبوسيين وأخذ الحصن	بیت بوس حصن منيع ووادٍ

وبالطبع، فلا وجود لمكان أو قرية أو مدينة أو موضع جبلي، يدعى «بیت بوس» في فلسطين التاريخية قرب القدس، كما لا يوجد حصن منيع يؤدي إليه ويدعى حصن صهيون. فهل من العدل الافتراض أن هذه الأماكن الجبلية زالت عن الوجود، بينما يزعم الإسرائيليون اليوم، أن أسماء القرى الوارد ذكرها في التوراة لا تزال موجودة هناك منذ أكثر من ألفي عام؟ فأين حدث الخطأ التاريخي المأسوي، ولماذا حدث؟ وكيف أمكن تمرير الخدعة القائلة أن التوراة سمت القدس أورشليم، فيما لا وجود لأي نص يؤيد هذا الزعم؟

من القدس إلى النقب

كما ورد في نص سفر يشوع (15: 1: 6) النص التالي الذي يحدد موقع جبل قدش - قدس على نحو لا يقبل التأويل:

וַיְהִי הַגִּזְרֹל, לַמִּטָּה בְּנֵי יִהוּדָה—לְמִשְׁפַּחָתָם אֶל-גִּבּוֹל אֲדוֹם
מִדְּבַר-צֹן נִגְבָּה, מִקְצֵה תִּמְנָן. וַיְהִי לָהֶם גִּבּוֹל נִגְב, מִקְצֵה יָם
הַמֶּלַח, מִן-הַלְשָׁן, הַפְּנֵה נִגְבָּה. וַיָּצֵא אֶל-מִנְּגֵב לַמַּעֲלָה עֲקֹרִיִּים,
וְעֵבֶר צִנָּה, וְעֵלָה מִנְּגֵב, לְקֹדֶשׁ בְּרִנֵּעַ; וְעֵבֶר חֲצֹרֹן וְעֵלָה
אֲדָרָה, וְנֹסֵב הַקֶּרְקָעָה וְעֵבֶר עֲצְמוֹנָה, וַיָּצֵא נֶחֱל מִצְרִים, וְהָיָה
(וְהָיוּ) תַּצְאוֹת הַגִּבּוֹל, יָמָה; זֶה-יְהִיָּה לָכֶם, גִּבּוֹל נֶגֶב וּגִבּוֹל
קִדְמָה יָם הַמֶּלַח, עַד-קְצֵה הַיַּרְדֵּן; וּגִבּוֹל לַפֶּאֶת צְפּוֹנָה, מִלְשָׁן

הַיָּם, מִקְצֵה, הַיַּרְדֵּן וְעַלָּה הַגְּבוּל, בֵּית חֲגִלָּה, וְעֵבֶר, מִצְפֹּן
לְבֵית הָעֶרְבָה; וְעַלָּה הַגְּבוּל, אֶכֶן כְּהֵן כֶּן-רֵאוּבֵן

(ו - יְהִי - הָא - גְּבוּל - ל - מְטֵה - בְּנֵי - יִשְׂרָאֵל - ל -
מִשְׁפַּחְתָּם - הָא - גְּבוּל - ע - ד - מ - סֵן - גְּבִינָה - מ - - - - - - - - -
תִּימָן - וִי - הִי - ל - הֵם - עַל - גְּבוּל - נֶגֶב - מ - - - - - - - - -
- מֶלֶח - מ - לֶשֶׁן - הָא - פְּנֵה - גְּבִינָה - וַיֵּצֵא - ע - עַל - מ - - - - -
- ל - מְעֵלָה - עֶרְבִיִּים - וְעֵבֶר - סֵנֵה - מ - גְּבִינָה - ל - - - - -
בִּרְנֵעַ - וְעֵבֶר - חֲסִרוֹן - וַיַּעֲלֵה - ע - דֶּרֶךְ)

والترجمة الآمنة للنص تقول ما يلي:

(وكانت المرتفعات لسبط يهوذا ولعشائريهم، قابل آدم من سفوح
ضيق، وجنوبي، ومن أقصاها تيمن، وكان لهم القابل من نجب من
أقصى يام، والملح. ومن لسن مواجهًا الجنوب، وتخرج إلى جنب
على المعلاة وعقربيم، فتجتاز صنه وتصل من جنب إلى قدش،
وبرنع، وعبر وحضر فتصعد أدراه).

وهذا الوصف الذي سجله النبي يشوع لموضع يدعى קִדְשׁ - قَدَشْ، يتطابق كلياً مع
وصف الهمداني للمكان نفسه والأسماء نفسها، فَقَدَسْ عنده تتصل بسراة جبلية وعرة محاطة
بمجموعة من الوديان العميقة. وكما نلاحظ؛ فإن هذا الجبل المبارك يتصل بسراة جبلية تدعى نجب
(ها - نجب) وبسلسلة من الوديان منها وادي حضر ووادي وجبل أدراه وجبل يام، قرب مصب من
مصببات وادي الملح.

وفي هذا المكان أقام سبط يهوذا أكبر أسباط بني إسرائيل. لذلك، وإذا ما وضعنا هذا النص
أمامنا، ثم قمنا بتأمل النص التالي الذي يصف عمليات ترميم وبناء أسوار أورشليم على يد نحemia،
فسوف نكتشف أن التوراة تتحدث بالفعل عن مكانين منفصلين، أحدهما يدعى قدش - قَدَسْ، والثاني
يتحدث عن أورشليم. هاكم وصف أورشليم كما سجله نحemia (1: 2: 10 من النص العبري):

וַאֲמַר אֱלֹהִים, אַתֶּם רֹאִים הָרָעָה אֲשֶׁר אֲנִינִנוּ בָּהּ, אֲשֶׁר
יְרוּשָׁלַם חֲרָבָה, וְשַׁעֲרֶיהָ נִצְתוּ בְּאֵשׁ: לָכֵן, וְנִבְנְהָ אֶת-חוֹמַת
יְרוּשָׁלַם, וְלֹא-נִהְיָה עוֹד, חֲרָפָה.

وء - مر - ء - لهم - عت - رثيم - ها - رعا - عشر - ء - نحنو -
به - عشر - يروشلם - ها - حرية - وشعر - يه - نصتو - ب - ء
- يش - لكو - ونبنه - عت - ها - حومت - يروشلם - وعل - نهيه
- عود - حرفه)

والترجمة الأمينة لهذا النص تقول ما يلي:

(فقلتُ لهم: ها أنتم ترون الرعا الذي نحن فيه، حيث أورشليم و-
وادي - الحرّية و- جبل - شعر. فلنقم ببناء أسوار أورشليم ابتداءً
منه، فتمتد الأسوار إلى - وادي - نهيه، و- عود، فإلى - وادي -
حرف)

رعا محلة تابعة لقرية الأعكاي، التابعة لعزلة بني عمر بمديرية يريم إحدى مديريات محافظة ،
كما توجد رعا أخرى - الرعى هي اليوم من قرى غربي تعز في جبل حبيش، وهذا يعني أن الاسم كان
منتشراً في أماكن أخرى، كما أن «حرية» هي إحدى قرى عزلة حزيب بمديرية النادرة التابعة
لمحافظة إب، أما «الحرف» فهي إحدى عزلات مديرية السبرة في إب - عزلة الروس -). وهذا يؤكد
أن أسوار أورشليم كانت ضمن محافظة إب، وهي تمتد - في اتجاهات مختلفة - وكلها ضمن المحافظة
ومن الواضح أن نحما، وهو يجمع القبائل اليهودية اليمنية، ويحثها على الشروع في البناء (بعد عودتها
من الأسر بناء على مرسوم الملك الفارسي قورش عام 539 ق.م) قام ببناء أسوار المدينة المقدسة في
مكان، لا علاقة له بجبل قدش - قدس؛ فها هنا مدن وجبال ووديان أخرى، وفضاء جغرافي مختلف
كلياً، حيث جبل شعر (شعر بالعبرية تنصرف إلى اسم الجبل شعر وليس إلى معنى باب كما في الطبعة
العربية) ووادي نهى - نهيه، ومخلاف العود ووادي حرف. لقد شاهد نحما كيف أن سور المدينة
المخرّبة في جبل الرعا قد احترق تماماً، ولذا طالب القبائل وهي يدعوها إلى العمل، أن تدرك معنى
وحدود الخراب الذي طال المدينة المقدسة. فهل من المنطقي الافتراض أن نحما لم يكن يعرف

أورشليم، أو أنه لم يكن يميز بين قدس وأورشليم، بحيث قام بإعادة بناء أسوار مدينة أخرى؟ وفضلاً عن ذلك أن نحملها لا يشير قط إلى أن أورشليم المحترقة هذه هي نفسها قدش - قدس؟ وكما رأينا من نص يشوع؛ فإن قدش - قدس ترتبط بسلسلة جبال ها - نجب وقرب جبل يام؟ هذا التناقض في وصف المكانين، ليس تناقضاً عابراً وعرضياً؛ بل هو في صميم الاختلاف الذي يفصل جغرافياً بين مكانين معلومين. وكنت قد بينت بالتفصيل، كيف أن الهمداني وصف بدقة مذهلة كل المواضع والأماكن التي تتحدث عنها النصوص التوراتية، فجبل قدش - قدس المبارك جبل شامخ من جبال اليمن، يقع على مبعده 80 كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة تعز اليوم. وقد ورد اسمه في قوائم الكرنك المصرية التي تزين جدران المعبد المصري القديم، باعتباره مكاناً استولى عليه المصريون في حملة تحتمس الثالث والتي بلغت، بإجماع علماء الآثار وكتاب التاريخ وعلماء المصريات، عمق الجزيرة العربية وجنوبها الغربي.

وفي هذه القوائم سنرى أن جبل قدس يقع قرب وادي حضر، بالضبط وكما في وصف التوراة والهمداني. وهذا تأكيد آخر على تطابق وصف المصريين مع وصف التوراة. والغريب أن قوائم الكرنك لا تشير قط إلى أورشليم. وهنا مقتطف من قائمة الكرنك (وقارن بين نصوص الهمداني والتوراة وقائمة الكرنك).

قائمة الكرنك (نموذج دراسي)	
الاسم في قائمة الكرنك - مجدو	الاسم في صيغته العربية
1: قدش	قدس
2: مكت	مخت - المخا
3: خطي	خطي
4: عنسو	عنس
5: حصر	حضر
6: صور	صور
7: روس	روس

إن الأماكن والمواضع الوارد ذكرها في القائمة المصرية، هي ذاتها المواضع والأماكن التي وصفها الهمداني في (صفة جزيرة العرب) باعتبارها أماكن ومواضع يمنية قديمة، فالمخا (مخت أو مكت) هو ساحل اليمن العظيم، المعروف عند الجغرافيين اليونانيين بساحل المخا - مكت، وحضر - حصر في العبرية من أشهر وديانه، كما أن صور اليمن (وليس صور لبنان) من الوديان العظيمة التي وصلها المصريون في زحفهم، بعد أن استولوا على منطقة عنس (عنسو عند المصريين والتي لا تزال قائمة اليوم بعشائرها وقراها). والأمر ذاته ينطبق على كل الأسماء الوارد ذكرها في نصوص التوراة الأخرى. يتبقى أن نلاحظ أن قدش - قدس برنيع، الوارد ذكرها في نص يشوع، تقع في سلسلة جبلية تدعى נֶדֶבָה ها - نجب. وقد ترجمت الكلمة اعتباطاً وتزويراً للجغرافيا والتاريخ إلى (النقب) وهذا تلاعب فاضح، لأن علينا - في هذه الحالة - أن نقلب كل حرف جيم (بالنطق المصري) إلى قاف. ومع ذلك؛ وإذا ما سلمنا بهذه الترجمة المزيفة لأغراض السجال، ففي هذه الحالة تصبح قدس التوراة قرب النقب، وهذا أمر غير قابل للتصديق جغرافياً، لأن النقب الفلسطيني مكان صحراوي لا يتصل بالقدس العربية، بينما المقصود من ها - نجب (النجب) سلسلة الجبال الممتدة من تهامة ونجران حتى منطقة الجوف، حيث يقع جبل يام ووادي الملح، تماماً كما في نص يشوع.

يقول الهمداني ما يلي (صفة 136 - 137)

ثم وادي بيض، ومآتية من سراة جنب وجميع ما بين
عدن ووادي تخله من أرض شرعب التي تنتهي إلى
البحر. والثاني من أودية السكاسك، وادي أديم وجبال
ذات السريح - المحقق: وهي الجبال التي تسمى اليوم
ذات الصريح وهي من المعافر ثم في قدس

إذا ما قمنا بوضع النصين (نص يشوع ونص الهمداني) في إطار مقارنة جغرافية، تتضمن التسلسل الدقيق للمواضع والأماكن التي تؤدي إلى جبل قدش عند يشوع، وقدس عند الهمداني، فسوف نحصل على التماثل المدهش التالي - وللاختصار فسنكتفي ببعض الأمثلة :-

--	--

ישוע	الهمداني
- ها - نجب (النجب)	- النجب
- أديم	- وادي أديم
- حصر	- وادي حصر
- قدش	- جبل قدس

وبكل يقين لا يوجد في هذه الجغرافيا (نقب صحراوي) يؤدي إلى القدس العربية في فلسطين. كما أن قدس هنا لا تدعى أورشليم؟ والآن هاكم مقارنة أخرى بين نصين من التوراة. النص الأول من سفر يشوع (15: 7: 28) يقول نص السفر عن أورشليم ما يلي:

וַיְהִי הַגֹּדֶל, לַמַּטָּה בְּנֵי יִהוּדָה--לַמִּשְׁפָּחֹתָם: אֶל-גִּבּוֹל
אֲדוֹם מִדְּבַר-צֹן נִגְבָּה, מִקְצֵה תִמָּן. וַיְהִי לָהֶם גִּבּוֹל
נֹגֵב, מִקְצֵה יָם הַמֶּלַח, מִן-הַלְשָׁן, הַפְּנֵה נִגְבָּה. וַיָּצֵא
אֶל-מִנְגֵּב לַמַּעֲלָה עֲקֹרִיִּים, וְעֵבֶר צִנָּה, וְעָלָה מִנְגֵּב,
לְקֹדֶשׁ בְּרִנֵּעַ; וְעֵבֶר חֲצָרוֹן וְעָלָה אֶדְרָה, וְנִסַּב
הַשְּׂרָקֵעָה. 3 וְעֵבֶר עֲצֻמוֹנָה, וַיָּצֵא נַחֵל מִצְרִיִּים, וְהָיָה
(וְהָיוּ) תְּצֻאוֹת הַגִּבּוֹל, יָמָּה; זֶה-יְהִיָּה לָכֶם, גִּבּוֹל נֹגֵב. 4
וּגִבּוֹל קִדְמָה יָם הַמֶּלַח, עַד-קִצֵּה הַיַּרְדֵּן; וּגִבּוֹל לִפְאֹת
צִפּוֹנָה, מִלְשֹׁן הַיָּם, מִקְצֵה, הַיַּרְדֵּן. 5 וְעָלָה הַגִּבּוֹל,
בֵּית חֶגְלָה, וְעֵבֶר, מִצְפּוֹן לְבֵית הָעֲרָבָה; וְעָלָה הַגִּבּוֹל,
אֶבֶן פֶּהַן בֶּן-רְאוּבֵן. וְעָלָה הַגִּבּוֹל דְּבָרָה, מֵעֶמֶק עֶכוֹר,
וְצִפּוֹנָה פֶּנֶה אֶל-הַגִּלְגָּל אֲשֶׁר-נֹכַח לַמַּעֲלָה אֲדָמִים,
אֲשֶׁר מִנְגֵּב לַנַּחֲלִי; וְעֵבֶר הַגִּבּוֹל אֶל-מִי-עֵין שֶׁמֶשׁ, וְהָיוּ
תְּצֻאוֹתָיו אֶל-עֵין רֹגֵל.

(ء - بن - هنوم - كتف - ها - يبوس - م - جنب - هي -
ء - يرو - شليم)

والترجمة الصحيحة تقول ما يلي:

(أوبن، وهنوم، وكتاف وبيبوس من جنب، ثم تكون
أورشليم)

ومن المؤكد أن أورشليم في هذا النص، تظهر قرب جبل هنوم ووادي كتاف (وهو قائم حتى
اليوم بالاسم نفسه ويرتبط بأحداث دامية وقعت مع الحوثيين في صعدة).

ومن هذا الوادي يمكن للسائر أن يصعد سلسلة جبال سراة جنب (وليس النقب) ليصل إلى
بيت بوس، حيث تكون أورشليم أمامه.

أما النص الثاني فهو من سفر تثنية الاشتراع ويقول في وصف قدش - قدس ما يلي: (1:
38:18)

קִדְשׁ בְּרִנֵּיעַ.

(عد - قدش - برنع - وء - مر - لك - ب - ءت - عد - ها
- ءمري)

والترجمة الصحيحة للنص تقول:

(وعند قدش برنيع، قلت لكم ها قد وصلتكم حتى جبل
الأموريين)

هذه القدس المزعومة التي وصلها بنو إسرائيل حسب القراءة المخيالية الاستشراقية، تقع
قرب جبل يدعى جبل برنيع - برنع وتسمى باسمه، وهي لا تدعى أورشليم كما هو واضح من
النص. كما أنها تقع قرب جبل الأموريين. وكنا رأينا من نص يشوع السابق، أن قدش - قدس
يمكن الوصول إليها من برية صين وجبل ءدره وهما موضعان لا تعرفهما فلسطين.

قدس في الشعر الجاهلي ورواية التوراة

لكل ذلك، لا بد من التمييز بين سائر المواضع الجبلية الواردة في هذه النصوص، منعاً للخلط بينها وبين القدس العربية في فلسطين. إن عدم التمييز والإصرار على المطابقة التعسفية والجهل بجغرافية التوراة، هو الذي أدى إلى حدوث خلط مأسوي في الجغرافيا، نجمت عنه فوضى عارمة في التاريخ الفلسطيني، اختلطت فيها وتداخلت عصور وجماعات وأحداث لا يجمعها جامع. وفي سياق التمييز الذي نسعى إليه، سنعود إلى الشعر الجاهلي. لقد ورد ذكر قُدس - بالضم - الجبل العربي الشامخ - وهما جبلان - في بطن وادي الرمة في الكثير من القصائد، بينما

وصف الهمداني في «صفة جزيرة العرب» جبل قَدَس - بالفتح - في سلسلة جبال المعافر اليمنية. وهذا يعني أننا بالفعل أمام ثلاثة مواضع، تماماً كما في التوراة وبالاسم نفسه. إن الغرض من الاستعانة بالشعر الجاهلي مكرّس لأجل أن يستوعب القارئ فكرة أن اسم قدس ورد في الشعر الجاهلي كاسم لجبل في الجزيرة العربية، وهو ما يعني بوضوح أنه انتشر في وقت من الأوقات خارج اليمن.

قال الشاعر الجاهلي أبو ذؤيب الهذلي:

فإنك حقاً أي نظرة عاشقٍ نظرت وقُدس دُونها ووقير

وجبل قُدس هذا - بالضم - والذي يتغنّى به الهذلي، ليس جبل قَدَس - بالفتح - في جبال المعافر إلى الجنوب من مدينة تعز؛ بل جبل قرب وادي الرمة، وهما جبلان أحدهما أبيض ويكنى العرج، والآخر أنف أحمر شامخ وكلاهما قُدس، وقد وصفهما الأصمعي والهمداني ومعظم شعراء الجاهلية. وحسب (لسان العرب) لابن منظور؛ فإن كلمة قدس تعني (الموضع المرتفع الصالح للزراعة) والتقديس (التطهير والتبريك) والقَدَس - بالفتح - السطل لأنه يتقدّس به. (كما يسمى قُدس آرة - أوراة،).

وقال الأسود بن يعفر النهشلي (ويُسمى أعشى نهشل لأنه تلقب بلقب الأعشى أيضاً):

وجاملٍ كزُهاء اللَّاب كُفّه

ذو عَرْمَضٍ من مياه القهر أو قدس

وقال البحتري:

فإذا هم افتخروا به لم يبجحوا

بقديم ما ورثوا من العلياء

صعدوا جبلاً من غلاك كأنها

هضبات قُذس ويذبل وحراء

وقال خفاف بن ندبة السلمي:

طَرَقْتُ أَسِيْمَاءَ الرِّحَالِ وَدَوْنَنَا

مِنْ فَيْدٍ غِيْقَةٍ سَاعِدٌ فَكْثِيْبُ

فَالطُّوْدُ فَالْمَلَكَاتُ أَصْبَحَ دُونَهَا

فَفِرَاعٌ قُذْسٌ فَعَمَقَهَا فَحَسُوْبُ

وقال كعب بن زهير:

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ قُذْسٍ أَوَارَةٍ

أَحَلَّتْكَ عَبْدَ اللَّهِ أَكْنَافٌ مُبْهِلٌ

وقال كثير عزة:

كَأَنَّ أَخَاهُ فِي النُّوَابِ مَلْجَأٌ

إِلَى عِلْمٍ مِنْ رُكْنِ قُذْسٍ الْمَنْطَقِ

وقال كثير أيضاً:

فَكَأَنَّهُ إِذْ يَغْتَدِي مُتَنَسِّمًا

وَهْدًا فَوْهَدًا نَاعِقٌ بَرْنَالٍ

كَالْمُضْرَحِيِّ عَدَا فَأَصْبَحَ وَاقِعًا

من قُدس فوق معاقل الأوعال

وقال أبو بكر الصولي:

لهفي على مُنتخب حلمه

أرجح من رضوى ومن قُدس

ومن سائر هذه المقتطفات نفهم، أن العرب القدماء عرفوا قُدس في وادي الرّمة، وهما جبلان بإجماع الرواة والجغرافيين.

بين القدس وقُدش - قُدس

سنقدم هنا وصفاً جغرافياً مقتضباً لمدينة القدس من أجل البرهنة على أن وصف التوراة لا يتطابق مع توصيفها. نشأت مدينة القدس في وقتٍ ما من تاريخ بلاد الشام، عند خط المياه الفاصل ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت، وفي بقعة خصبة مرتفعة. وقد يكون ما ميز نشوء المدينة، أنها بُنيت فوق هضبتين، تحدهما من الغرب السهول الساحلية، ومن الشرق نهر الأردن. أما إلى الجنوب منها، فسلسلة جبال الخليل. يكتب الرّحالة العربي ابن حوقل عام 978م ما يأتي (تبلغ مساحة القدس قدر مساحة الرملة وهي مدينة مرتفعة مبنية على تلال. ويتوجب عليك أن تصعد إليها من كافة الجهات).

مقاربة

وصف التوراة لجبل قُدس	وصف الجغرافيين القدماء
فتجتاز صنه وتصعد من جنب إلى قُدش، وعبر وحضر فتصعد أدره).	مدينة مرتفعة مبنية على تلال

يخلص المرء من هذه المقاربات الجغرافية إلى تقرير الحقيقة التالية: أن المطابقة التي قامت بها القراءة الاستشرافية للتوراة، هي مطابقة زائفة وتعسفية ولا أساس لها في النص أو الجغرافيا.

تزيف وتصحيح

(نموذج دراسي)

والمثير للاهتمام في هذا السياق، أن ما من قارئ لتاريخ فلسطين القديم إلا وتصادفه غالباً، الرواية الاستشراقية التالية:

استمر الاستيلاء التدريجي للقبائل العبرانية على فلسطين، وتشكيل اتحاد القبائل الإسرائيلية لفترة امتدت لتصل إلى ما يزيد عن أربعمئة سنة. وتصف التوراة هذه الأحداث بدقة تفصيلية متناهية، بالفصول التي تبدأ بحملة موسى عبر الصحراء وصولاً إلى سفر القضاة. ولم تدم المملكة الموحدة لكل من شاول وداود وسليمان سوى مائة عام ليس إلا - وهذه حقيقة يضع عليها بالمناسبة علماء التاريخ حديثاً إشارة استفهام - وما لبث أن انفجر فيما بعد التناقض القديم بين قبائل الشمال والجنوب وقامت منذ ذلك الحين مملكتان للإسرائيليين، إسرائيل في الشمال لمدة مائة عام، ويهودا في الجنوب لمدة مائتين وعشرين سنة.

كلاوس بولكين (قديماً في البلد المقدس: رحلات إلى فلسطين القديمة
(1986)

في هذه الرواية التقليدية للتاريخ الفلسطيني القديم، والتي يصادفها المرء في الكثير من المؤلفات (بما فيها كتب التاريخ العربي ويا للأسف) يمكننا أن نحدد الكثير من الأخطاء الفادحة، مثلاً لا يوجد حتى هذه اللحظة وعلى وجه الإطلاق - بعد ما يقرب من سبعين عاماً من البحث في باطن الأرض كما بين عالم الآثار الإسرائيلي هرتزوغ⁵ - أي دليل تاريخي موثوق به في صورة لقي أثرية أو سجلات أو نقوش، يمكن أن يقدم أي نوع من الدعم والتأييد لما يزعم أنه «استيلاء القبائل العبرانية على فلسطين».

لقد بُنيت هذه الرواية على أساس قراءة استشراقية للتوراة، رأت في المرويات والأساطير والقصص مادة أساسية في «صناعة» تاريخ فلسطيني قديم، تظهر فيه القبائل الإسرائيلية قوة منتصرة، وهذا أمر يتنافى كلياً مع علم التاريخ؛ إذ من غير المنطقي اعتبار القصص الديني

والمرويات دليلاً تاريخياً ما لم يجر إخضاعها للنقد والتصحيح. وعلى سبيل؛ فإن اعتبار كل ما ورد في التوراة هو التاريخ القديم لفلسطين، وأن كل الشخصيات الوارد ذكرها في نصوص التوراة هي شخصيات تاريخية، يتطلب تقديم تفسير مقبول لكل ما يبدو شاذاً وغريباً في تصرفات أبطال هذه القصص؟ إن التوراة لا تقول قط، ولا بأي صورة من الصور، أن الأحداث التي ترويها دارت في فلسطين؛ فكيف أمكن «تلفيق» رواية استيلاء القبائل العبرانية عليها. ومنّ هي القبائل العبرانية التي زحفت مع موسى من مصر نحو فلسطين، ومتى وأين وكيف، وما المقصود باتحاد القبائل الإسرائيلية؟ إن التاريخ لا يعرف أي شيء حقيقي عن ما يدعى «قبائل عبرانية» سوى ما ورد في قصص التوراة؛ بل إن التوراة لا تقول إن نصوصها مكتوبة «بلغة عبرانية» أو إن القبائل الوارد ذكرها هي قبائل عبرانية؟

الفصل الثاني

قَدَس التوراة ليست قُدس فلسطين

يُقصد بقَدَس، الجبل المبارك المُسمّى جبل قَدَس - بفتح الحرفين الأول والثاني كما يلفظه اليمينيون - في مخلاف المعافر القديم، نحو 80 كم إلى الجنوب من تعز باتجاه عدن، والذي لا يزال معروفاً، حيث عاش هناك ذات يوم بعيد من التاريخ، شعب عربي من شعوب وقبائل العرب العاربة يدعى بالعبرية פְּלִשְׁתִּים فلسطين، ويدعى في العربية الفُلس أو الفلست (حسب طريقة الكتابة اليمينية وفي نطق بعض أهل اليمن مثل قرشت في قریش، وفرست في فرس). كما يكتب اسم هذا الشعب القديم باستخدام الهمزة والميم في أوله - وهما أداتا التعريف المنقرضة التي حلت محلها أداة تعريف جديدة هي الألف واللام - في صورة (عم فلس - الفلس) مثل عم رجل في الرجل وعم بغير في البعير، وهي لغة في جنوب الجزيرة العربية. لقد صورت القراءة الاستشرافية المخيالية هذا الشعب على أنه شعب من الغرباء عاشوا وأقاموا في فلسطين التاريخية، وأنهم كانوا من المتسللين الذين قدموا من جزيرة كريت (اليونان) واستولوا على أرض الميعاد اليهودي. وهؤلاء - الفلسطينيون - كما تقول التوراة في نصوص متفرقة، عاشوا كجماعة وثنية متمردة ودخلوا في معارك وحروب طاحنة مع بني إسرائيل. وفي الواقع لا وجود لجبل في القدس العربية، كما أنها لا تقع على جبل. ولذلك فنحن الآن في مواجهة الحقيقة التالية: إن جبل قَدَس - قَدَس هذا، لا يزال يحتفظ باسم الجماعة القديمة التي تدعى الفلست وبالضبط تماماً كما ورد في رواية التوراة. إليكم هذا الاكتشاف:

يصف الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) كلاً من الجبل والجماعة القديمة التي عاشت بالقرب منه في أول سرة اليمن، ابتداءً من أرض المعافر ف ساحل بني مجيد - مجدو ف جبال عدن. وفي هذا الشريط الساحلي الطويل، نشأت ممالك يمنية قديمة تُعرف بالمخاليف (منها مثلاً مخلاف

ذبحان وجباً - جبع وصبر وصحارة ووادي الضباب، ومعظم سكانها من قبائل همدان والأشعريين). يقول الهمداني في (صفة: 118 - وانظر هامش المحقق حول وادي الضباب) ما يأتي:

ثم يتصل بمخلاف المعافر في هذه السراة، بلد الشراعب من جَمِير (والضباب وادٍ في قَدَس من المعافر جنوبي هذا، والضباب أيضاً في المفاليس⁶ من المعافر أيضاً) ثم يتصل بسراة الكلاع سراة بني سيف.

ها هنا قَدَس وها هنا المفاليس⁷ (ها - فلسطين، والميم اليمنية - الحميرية بديل من الهاء العبرية كأداة تعريف). يعني هذا أن التوراة وهي تتحدث عن قَدَس، وعن ها - فلسطين (الفلسطينيون من فلسطين) إنما تتحدث عن هؤلاء حصراً لا عن الفلسطينيين. إن وضع الرواية التوراتية في هذا الإطار الجغرافي هو المفتاح الذهبي في حل ألغاز التوراة برمتها، وفهم السبب الحقيقي لا لعسر نصوصها وبعض تراكيبها المعقدة وحسب، وإنما فهم السبب الأكثر جوهرية في فشل العلماء في العثور على أي دليل علمي يؤكد وقوع الأحداث التي ترويها التوراة في فلسطين. والأهم من كل هذا، أن التوراة لا يمكن أن تُقرأ قراءة صحيحة، إلا إذا وُضعت في بيئتها الحقيقية التي ولدت فيها، ونعني البيئة الروحية القديمة لجنوب غرب الجزيرة العربية. ولذلك؛ فإن إعادة وضع الرواية التوراتية في بيئتها التاريخية، سوف يكشف لنا عن الوجه الحقيقي للتاريخ المُتلاعب به، وبشكل أخص رواية التوراة لحادث السبي البابلي. لقد احتكر المخيال اليهودي المعاصر حادث السبي البابلي برمته، ونسبه إلى اليهودية وحدها، مع أن الحادث التاريخي، لم يكن موجهاً ضد جماعة بعينها؛ بل شمل جماعات أخرى. وكما أن هذا الاحتكار يصادر حق هذه الجماعات في استذكاره واستعادته كجزء من تاريخ المنطقة في عصر الإمبراطورية البابلية - الآشورية؛ فإنه يتلاعب في «جغرافية الحادث»، وذلك حين يجري تصوير مسرحه في فلسطين. إن تصحيح هذا الجانب من التاريخ، يمكن له أن يكون تأثيراً هائلاً على مستوى مواجهة الفوضى في العصور والأحداث التي تسبب فيها المخيال الاستشراقي. لكل ذلك، سوف نبدأ من لائحة الأسرى التي سجلها كتاب اليهودية المقدس

لائحة أسرى القبائل العربية اليهودية في السبي البابلي

تتضمن القائمة التالية التي أعدها عزرا النبي، للأسرى من القبائل اليمنية اليهودية في بابل، بعد قرار الملك الفارسي قورش عام 539 ق.م إطلاق سراحهم وتحريرهم من العبودية، والسماح بعودتهم إلى اورشليم القديمة إثر سقوط بابل في يده؛ طائفة نادرة من أسماء القبائل اليمنية التي لا

وجود لها في فلسطين. إن هذه القائمة التي نُعيد ضبطها في سياق إعادة تحديد المواطن التاريخية الحقيقية للقبائل والجماعات، المنفية والعائدة إلى موطنها بموجب المرسوم الإمبراطوري، تؤكد لنا بشكل قاطع صحة ما ذهبنا إليه، وأن الذين تعرضوا للسبي كانوا من القبائل العربية اليهودية التي وجدت نفسها، ذات يوم من التاريخ البعيد في مواجهة دامية ومتواصلة مع الإمبراطورية البابلية - الآشورية (الوثنية). وهؤلاء لا صلة لهم بفلسطين لا من قريب ولا من بعيد. لقد وقع الحدث برمته وبكل تفاصيله الإنسانية المحزنة في سِراة اليمن لا في فلسطين. ولعل القائمة التي سجلها عزرا النبي وتضم أسماء وأنساب الأسرى من أبناء القبائل، تشير بوضوح لا مثيل له إلى أصولهم العربية - اليمنية. وهؤلاء كما سوف نبين، يمثلون جماعات بدوية دانت بدین بني إسرائيل في اليمن القديم، وقد جرى أسرها ونفيها من أوطانها في إطار حملات حربية متتابعة، قامت بها الإمبراطورية الآشورية لبسط نفوذها على سواحل البحر الأحمر. هاكم ملخصاً عن الرواية كما دُونها عزرا (النص العبري: 1: 11 : 2: 20).

في العام الأول لسقوط بابل 539 - 540 ق.م، قرر الملك الفارسي قورش إعادة السبي من القبائل إلى مدنه وقراه الأصلية. ولأجل هذا الهدف نُشر في بابل، نداء الملك الذي تضمن إعلان تحرير القبائل العربية اليهودية، وحقها في العودة إلى موطنها وفي إعادة بناء ما تهدم من مدنها، وخصوصاً - أورشليم التي في يهوذا - أي أورشليم (بيت بوس في سرو حَمِير). (وهذه تُدعى بيبوس ولا يُقصد بها بيت بوس في ضواحي صنعاء) كما تضمن قرار الملك الفارسي السماح للعائدين من الأسر، بالحصول على تبرعات من سكان بابل لأجل بناء مدنهم المهتمة. وإلى جانب هذا كله، قام قورش بإعادة مُمتلكات الهيكل المنهوب في أورشليم، وتسليمها إلى زعماء وأنبياء القبائل العائدة. ونظراً لطول النص فسوف نكتفي بأسماء أبرز القبائل والعائلات العائدة من السبي. يقول عزرا ما يلي:

וְאַלֶּה בְּנֵי הַמְּדִינָה, הָעֲלִים מִנִּשְׁבֵּי הַגּוֹלָה, אֲשֶׁר הִגְלָה נְבוּכַדְנֶצַּר
(נְבוּכַדְנֶצַּר) מֶלֶךְ-בָּבֶל, לְבָבֶל; וַיָּשׁוּבוּ לִירוּשָׁלַם וַיהוּדָה, אִישׁ לְעִירוֹ
אֲשֶׁר-בָּאוּ עִם-זְרַבְבָּדֶל, יֵשׁוּעַ נְחֶמְיָה שָׂרְיָה רַעְלִיָה מְרֹדַכִּי בִלְשָׁן מִסְפָּר
בְּגִי--רַחוּם בַּעֲנָה: מִסְפָּר, אֲנָשִׁי עִם יִשְׂרָאֵל. בְּנֵי פֶרְעֹשׁ--אֶלְפִים, מֵאָה
שָׁבָעִים וּשְׁנָיִם. בְּנֵי שִׁפְטָיָה, שְׁלֹשׁ מֵאוֹת שָׁבָעִים וּשְׁנָיִם. בְּנֵי אֶרֶח, שָׁבַע
מֵאוֹת חֲמִשָּׁה וּשְׁבָעִים.

(وعله - بني - ها - مدينه - هعليم - م - سبي - هجوله - ءشر - ل - هجوله
- نبوكد - نصر - ملك - بيل - ل - بيل - يشوبي - ل - يروشلم - ويهوده -
ء يش - ل عيرو - ء شر - بئو - عم - زربيل - يشوع نحمية - شريه -
رعليه - مردكي - بلشن - مصفر - وبجوي - رحوم بعنه)

(وهؤلاء، أبناء البلاد ممن سعدوا من السبي، والنفي الذي قام به نبوخذ
نصر ملك بابل إلى بابل. عادوا إلى أورشليم ويهوده. كل إنسان إلى منزله.
والذين جاؤوا مع زُر بيل هُم: يشوع، وَنَحْمِيَه، وشريه، ورعليه، ومردك
وبلشن - بلسن، ومسفر، وبجاي، وبعنه...)

ثم يضيف النص ما يلي: ومن بين القبائل العائدة من السبي، كان هناك بنو جبر وهُم خمسة
وتسعون نفراً، وبنو بيت لحم - لحم: مئة وثلاثة وعشرون نفراً، وبنو حريشه، وكروب وأذن وأمير.
وبعض هؤلاء بحث عن كُتّاب أنسابه فلم يُعثر له على دليل يؤيد انتسابه الصريح إلى بني إسرائيل.
ولذلك تم استبعادهم من سلك الكهنة، واعتبروا غرباء، فعاش بعضهم في بابل إلى الأبد مندمجاً مع
السكان. ومع هذا تم السماح لبعضهم الآخر بالعودة ضمن القائمة. ويلاحظ في هذا النص أنه يستخدم
تعبير (هؤلاء أبناء البلاد) أي بلاد اليهودية. وفي قائمة نحما - نحْمِيَه الثانية (التي سوف تُكتب بعد
أكثر من نصف قرن على مرسوم قورش) سنجد أن من بين القبائل العائدة، بنو صيحه، وبنو حسفه،
وبنو رصين - رصين، وبنو ناصح، وبنو حجاب، وبنو عبيد، وبنو شلمه - سلمه، وبنو شعريئيم
(الشغراء) وبنو حشم (نحما: النص العبري: 7: 27: 59). فأين يمكن للمرء، إذا ما أراد معرفة
الحقيقة عن السبي البابلي، أن يعثر على هذه الجماعات والقبائل؟ إن فلسطين التاريخية لا تعرف
قبيلة واحدة من هذه القبائل، لا من خلال بقايا أنسابها ولا من خلال بقايا لغوية تؤكد وجودها. وليس
ثمة أي وثيقة تاريخية أو نقش أو سجل من سجلات الإمبراطورية البابلية - الآشورية أو الفارسية،
يمكن أن تدعم فرضيات الرواية الاستشراقية القائلة بوقوع السبي في فلسطين. كما أن فلسطين لا
تعرف الأماكن والمواطن والمواضع التي تنتسب إليها هذه الجماعات حتى في صورة بقايا
لغوية. علماً أن كل هذه الأسماء هي لمواضع ومواطن وبطون عربية - يمنية صريحة النسب. هاكم -
أولاً - القائمة التي أعددناها عن قائمتي نحما - نحمية وعزرا - عزره:

قائمة القبائل العائدة من الأسر البابلي

الاسم في العبرية	الضبط العربي
1: بنو جبر	بنو جبر
2: بنو بيت لحم	بنو لحم
3: بنو حريشه	حريش
4: بنو صيحه	صيحه
5: بنو حسفه	حسفه
6: بنو رصين	رضين
7: بنو ناصح	ناصح
8: بنو حجاب	حجاب
9: بنو عبيد	عبيد
10: بنو شلمه	سلمه
11: بنو حشم	حشم
12: بنو شعرائيم	الشَّعْرَاء
13: بنو أمير	أمير
14: بنو أذن	أذن
15: بنو كروب	أكراب
16: بنو عدين	عدين
17: بنو مسفر	السفر
18: بنو جزم	جزم

19: بنو حقوفه	حقف
20: بنو برقش	برقش
21: بنو محيدا	الحيدا
22: بنو قروس	بني قريس
23: بنو سوطه	سوط
24: بنو حارف	بنو خارف
25: بنو نطوف	نُطوف

تعطي هذه الأسماء فكرة عمومية؛ ولكنها شديدة الأهمية عن طبيعة ومضمون القائمتين الطويلتين لعزرا ونحميا. كما أن الأسماء في صيغها الأصلية توفر للقارئ فرصة التعرف بنفسه وبموضوعية أكبر إلى العدد الحقيقي للقبائل العائدة من السبي.

1: بنو جبر

أقام بنو جبر - بالفتح - وبنو أذن - أذان، قديماً في سرو جَمِير (سوية مع بني أذان وهم من يافع جنوب اليمن). كما أقاموا في خولان العالية. وقد وصف الهمداني مواطنهم القديمة وأوديتهم ومنازلهم بشكل تفصيلي على النحو التالي (صفة: 172 - 173):

سرو جَمِير وأوديته وساكنه: العر لأذان من يافع وذو ناخب لبني جَبَر منهم، سَلَب لبني جَبَر، العقة للأهجور منهم. وادٍ وهم بنو هجر، وفي كل هذه المواضع قُرى ومساكن كثيرة أرض حلالهم وأحلافهم من بني جعدة. من الأودية: الضباب ووادي حضر الذي فيه محجة عدن إلى صنعاء.

هذه هي منازل بني جبر وأذان، تماماً كما في القائمتين وفي المكان نفسه الذي استهدفته الحملات الآشورية. إن توصيفاً دقيقاً كهذا يستحيل العثور عليه في فلسطين؛ بينما يمكن - عند وضع الرواية التاريخية عن السبي البابلي في إطارها الجغرافي الصحيح - الحصول على جواب اللغز المُحِير في قصة السبي، وربما على تصور أكثر دقة عن طبيعة أهداف الحملات الحربية

وخط سيرها. وهذا ما يتوافق كلياً مع المصوّرات الآشورية للأسرى (التي كانت تزين جدران المتحف العراقي قبل نهبه في 2003) بوصفهم جماعات من البدو. والمثير للاهتمام أن عزرا ونحميا يشيران في قائمتيهما إلى أعداد الجمال التي سُمح للقبائل بحصرها ضمن ممتلكات العائدين. هذا يعني أن العائدين كانوا جماعات بدوية، ظلت تحتفظ بممتلكاتها من الجمال طوال سنوات السبي في بابل.

2: بنو بيت لحم - لَحَمٌ 8

وهم سكان موضع يُعرف باسم بيت لحم - لحم في وادي صيحان من أرض اليمن. أقام بطن من اللخمين في العراق وأسس مملكة الحيرة الشهيرة. قال النابغة الذبياني (الديوان، وصفة: 325):

ولحم ملوك الناس يُجبي لهم

إذا قال منهم قائل فهو واجبٌ

3: بنو حريشه 9 - حريش

أقام بنو حريش في وادٍ شهير من أودية دمار بمديرية جبل الشرق وفي عزلة تدعى حتى اليوم عزلة بني حريش على مقربة من موضعين شهيرين في التوراة، هما مسيل مياه أون ووادي الشكول - ءشكول. هاكم وصف الهمداني (صفة: 264) لمنازلهم التي تُعرف - تاريخياً - بهدار بني الحريش:

(ثم من بطانة العارض من عن يمينه ماءان متدانيان يُقال لأحدها أوان(..))
ومياه منها الشكول فتأخذ إلى الطريق الآخر على الهدار هدار بني الحريش
أول الجزع فيه لبني خلدة من الحريش)

ويضيف (صفة: 265):

(.. رجعنا إلى الفلج: مهب الجنوب منه المذراع، مزارع بني قُشير بن سلمة
من بني الحريش ثم الشطبتان وهما نخل ومياه لبني الحريش. ثم العقيق
وفيها مائتا يهودي ونخل كثير..)

تُرى هل هي محض مُصادفة أخرى أن يكون بنو حريشه - حريش في هذا المكان
الصحراوي حيث بقايا قبائل عربية يهودية؟

4: بنو صيحة

أقام بنو صيحة في موضع يحمل الاسم نفسه في الجوف اليمني على مقربة من سلسلة
مواقع شهيرة في التوراة، ومنها وادي صيد - صيده وبيت بوس. ومن غير شك؛ فإن وجود بني
صيحة قرب أورشليم اليمنية التي عادوا إليها من السبي البابلي، يعدُّ أمراً مذهلاً لجهة تطابقه مع
وصف الهمداني. هاكم هذه المقاربة بين النصوص:

التوراة: (نصوص متفرقة)	الهمداني (156 - 158):
بيت بوس وكانت أورشليم وعاد إلى أورشليم بنو صيحة	بيت بوس وصيحة.

وقد وصف الهمداني منازل بني صيحة في منطقة الجوف اليمني قرب حيفه - حيفا، وهم
ممن عاد إلى أورشليم القديمة حسب قول عزرا ونحميا (صفة: 158):

والحيفه - حيفا - وبيت ذانم، فصيحة، فمساك وناعط وبلد الصيد وبه أودية
من ظاهر بلد همدان.

5: بنو حسف

أقام بنو حسف - والعرب عموماً تضيف الهاء إلى آخر الأسماء - في وادٍ من أهم أودية
خولان، يُعرف بالاسم نفسه قرب سلسلة من الوديان، والجبال التي سجلتها أسفار التوراة كأسماء
منازل للأسباط، مثل حجلة وصُرع وأدير وعاشر وسحر. وقد ورد وصف الهمداني لهذا الوادي
ولمنازل هذه القبيلة في (صفة: 215 - 216)

6: بنو رصين - بنو رضين

نلاحظ من نصوص متفرقة من التوراة، كما جرى تحقيق نصوصها وتأويلها في القراءة الاستشراقية، أن المعارك بين بني إسرائيل والأراميين قد تم توظيفها للبرهنة على وجود ملك في التاريخ السوري يُدعى رصين، وأن أحد ملوك مصر كان يدعى سو - - سوءه، وقع في أسر القوات الآشورية في معركة رفح. علماً أن قوائم ملوك سورية ومصر المعروفة لا تتضمن مثل هذين الاسمين، كما أن وجود رصين - رصين في قائمة العائدين من السبي البابلي، بوصفه اسم بطن من بطون القبائل العائدة، يجعل من المُتَعَذِر قبول خلطٍ مريع من هذا النوع. يعني هذا أن المخيال الأوروبي ظل يتجاهل عن قصد أو عن جهل، حقيقة الالتباس في الترجمة وفي تأويل الأحداث؛ إذ من المستحيل أن يكون رصين اسماً لملك سوري وفي الآن ذاته هو اسم بطن إسرائيلي؟ ولذلك يجب أن يُرسم الاسم في صورة رصين بالضاد المعجمة التي لا تعرفها العبرية. إن العودة إلى وصف الهمداني لمنازل بني رصين (صفة: 220 - 223) سوف تكشف عن هذه الحقيقة.

7: بنو ناصح

أقام بنو ناصحه إلى جوار بني حريش على مقربة من وادي الرمة - وفي القائمتين هناك جماعة عائدة من السبي تُدعى بنو الرمة - وصف الهمداني بإسهاب منازلها وجبالها ووديانها في (صفة: 258)

8: بنو حجاب

أقام بنو حجاب في وادٍ قديم من أودية مديرية وصاب العالي بدمار ويدعى حتى اليوم باسمه هذا: وادي حجاب، رغم أن الهمداني وصفه بشيء من التفصيل على مقربة من وادي أمير - أمير في القائمة وإلى جوار بني نُقْد. وهؤلاء لم نسجل اسمهم في قائمتنا وهم سكان أعلى خولان أي قمته. كما أنهم أقاموا قرب منقل السفر - مسفر (ولاحظ الميم وكيفية تحولها إلى أداة تعريف عربية حديثة). هذا المنقل يُدعى اليوم سفران، بينما يُدعى وادي حجاب - وادي الحجابات (بالجمع) (صفة: 128). وبالطبع فمن المستحيل توقع مُصادفة كهذه، أي أن نجد وادي أمير قرب وادي حجاب - حجابات، وعلى مقربة من منقل سفر - مسفر ونقد - القد. وهذا هو المكان نفسه الذي عاشت فيه قبيلة بني عبد - عبي (عبد) تماماً كما في قائمتي عزرا وتحميا؟ وهذه، كما هو واضح لنا، مواضع تسمّت بها بطون وجماعات يمنية. إننا لا نعرف في فلسطين جماعات كانت من بين الأسرى

العائدين من بابل إلى أورشليم، لا تزال تحمل مثل هذه الأسماء والأنساب والألقاب. ويبدو أن العرب القدماء عرفوا القد - نقد هذا في رسمه العبري: نُقْدَه - نقوده تماماً كما في القائمتين.

ويُستدل من بيت شعر اختلف فيه الجغرافيون؛ أن لبید بن ربیعة عنى هذا الموضع في قصيدة ذائعة الصيت. قال (البكري، معجم، طبعة بيروت: 4: 108):

فقد نرتعي سَبْتاً وأهلك جيرةً

محل الملوك نُقْدَة فالمغاسلا

9: بنو عبيد

الرسمُ العبري للاسم هو عبيده - عبيدي. ولكن الرسم العربي الشائع في ترجمات التوراة هو: عبيد. ونظراً لافتقاد النص العبري للفواصل، فقد تم دمج الاسم مع اسم جماعة قبلية أخرى من بني شلمة - سلمه، ليصبح الاسم غريب التركيب بعض الشيء: عبيد سليمان. ومع أن لا صلة بين الاسمين إلا في حالة واحدة، أن يُقال مثلاً: إن عبيد هذه هي عبيد سلمه، تماماً كما يُقال اليوم في الجزيرة الفراتية (عبيد طي) في إشارة إلى بطن من بطون القبيلة يدعى عبيد وتمييزاً له عن بطن آخر يحمل الاسم نفسه. يُدلل هذا النموذج على طبيعة العقلية الاستشرافية التي قرأت التوراة، فهي تبحث عن (عبيد) بمعنى خدم مُفترضين لسليمان الملك، كانوا في عداد الأسرى، وذلك من أجل إضفاء طابع تاريخي على الحادث، ولذا وجدوا في تواتر الاسمين عبيدي - عبيدة وسلمه. في الواقع لم يكن هناك عبيد لسليمان الملك بين الأسرى، بل هناك بطن من قبيلة عبيد ينتسب إلى سلمه، وهؤلاء عاشوا في بلاد الشرق (تكثر الإشارة إلى بلاد الشرق في التوراة وفي قائمتي عزرا ونحميا ويُسجل الاسم سوية مع بني سفر وحجاب ونقد وبني أمير). وهذا أمر آخر مثير للاهتمام، لأن فلسطين لا تعرف مثل هذا التعبير؛ بينما يكثر الهمداني - على غرار النص التوراتي - من استعمال وصف بلاد الشرق.

أقام بنو عبد - أو عبيدة الذين يعرفهم التاريخ بوصفهم من قبائل زبيد، كما أنهم من بطون بني حريش في مخلاف عامر على مقربة من بني سلمه - سلمه، وفي المحافر قرب محافظة حجة (والمحافر هذه تسجلها التوراة في صورة محفر) تماماً كما في قائمتي عزرا ونحميا. وقد وصف الهمداني منازل الجماعتين بدقة (صفة: 181 - 183).

نخلص من ذلك إلى تأكيد الحقيقة التالية: ليس ثمة عبيد لسليمان في حادث السبي البابلي، ونبوخذ نصر لم يأسر بكل تأكيد عبيداً لملك مات قبل عدة قرون سابقة عليه؟ وهل من المنطقي أن يظل عبيد الملك على قيد الحياة بعد كل هذه القرون؟ وهل بقي عبيد لملك لم يبق من أثر لمملكته عام السبي؟. وهل هي مُصادفة أخرى أن نعثر على القبيلتين إلى جوار بعضهما؟

10: بنو سلمه

يقول النص العبري عن بني عبد - سلمه ما يلي: (وءله - هعيم - م - تل - ملح) (وهؤلاء صعدوا من تل الملح). ومع هؤلاء: بنو حريشه، وأذن وكروب وأمير. وهذا النص يتطابق حرفياً مع وصف الهمداني (صفة: 203 - 204) لمخلاف رداع وثات الذي أقامت فيه قبائل سلمه (..). وكذلك لمخلاف مأرب حيث جبل الملح.

11: حشم وجذم

تنتسب قبيلة حُشم إلى جذام - جزم (العبرية تفتقد إلى حرف الذال المعجمة وتستبدله بالذال المهملة أو الزاي) القبيلة الأكثر شهرة عند العرب (جزم في قائمة عزرا ونحميا) وهي من بطونها التي هاجرت إلى مصر. ومن غير شك؛ فإن وجود حُشم وجذام ضمن القائمتين يؤكد أن القبائل العائدة من السبي، إنما عادت إلى بلادها القديمة ومواطنها مع بني حريش وبطونها من سلمه وعبد.

12: شعرائيم

يعطي المترجمون لهذا الاسم، عادة وحيث ما وردَ في نصوص التوراة، مكافئاً غريباً هو: الباب - الأبواب. ويبدو أن الحيرة تملكت المترجمين حين وجدوا أنفسهم أمام قائمتي عزرا ونحميا التي يظهر فيها اسم قبيلة من القبائل التي أسرها نبوخذ نصر تُدعى شعرائيم. واستطراداً في المخيالية، تمت مكافأة الاسم بـ (البوابين). وبذلك أصبح لدينا قبيلة لا وجود لها ويستحيل العثور عليها هي (قبيلة البوابين). في الواقع ليس ثمة قبيلة تُدعى (البوابين) من بني إسرائيل، بل هناك قبيلة عربية - يمنية بائدة عاشت في موضع الشَّعْراء - شعرائيم (اسم الجمع العبري من شعر وهو جبل شهير وصفه الهمداني في مواضع كثيرة). إن كلمة شَّعْراء (اسم الجمع من شعر) يكتب في العبرية في صورة شعرائيم. اليمانيون يطلقون على الأشجار الكثيفة في المناطق الجبلية والوعرة والتي لم تمسسها يد الإنسان تعبير شَّعْراء.

13: بنو أمير

تقول واحدة من الروايات الشعرية، أن بعض رواة الشعر الجاهلي قرأ قصيدة ورد فيها اسم «أمير». وعندما سئل عن معنى أمير في قصيدته لاذ ف بالصمت، فقال له أعرابي إن أمير اسم وادٍ. في الواقع لم يكن كثرة من رواة الشعر الجاهلي يعرفون بعض الأسماء الواردة في القصائد.

واسم وادي أمير هذا، ظل منسياً في ذاكرات الرواة لقدمه وربما لبُعده عن البادية العربية، فكانوا يُخطئون في تحديده. إن فلسطين التاريخية لا تعرف قبيلة تنتسب إلى وادٍ يُدعى أمير؛ بينما تعرف جغرافية اليمن القديم هذا الوادي والقبائل التي أقامت فيه. هاكم وصف الهمداني (صفة: 134):

وادي مَوْر وهو ميزاب تهامة الأعظم ثم يتلوه في العِظْم وُبُعد المآتي زبيد ومساقي مَوْر تأخذ غربي همدان، وبعض غربي خولان وكريف خولان ويُسمى ما يصل إليه: أمير.

14: بنو أذن - أذن

أثار اسم هذه الجماعة الالتباس عند محققي ومترجمي النص العبري؛ فظنوا أنه ذاته السبط الإسرائيلي (دان). ولذا رسموا الاسم في صورة أَدان، والصحيح أذن - أذن كما في النص العبري. والتاريخ العربي يعرف اسم الملك اليمني سيف بن ذي يزن (إذن) وهم من القبائل البدوية التي عاشت عند أطراف نجران الرملية. وهذا ما يفسر قول النص: إنهم عادوا مع جمالهم التي بلغت أربعمئة وخمسة وثلاثين جملًا. وبعض بطونهم عاشت بالفعل في سرو حمير قرب جبل العر، وكانوا يحملون الاسم نفسه أَدان، وقد وصف الهمداني منازل هذه الجماعة البدوية (البطن القبلي من أَدان اليمنية) التي عادت إلى يهوذه - وأورشليم (صفة: 228 - 229) أي إلى السراة اليمنية وليس إلى فلسطين:

15: الأكراب

أقام بنو - الأكراب في مخلاف عامر الساحلي على مقربة من أخوتهم بنو عزا - عزان وبنو سلمه؛ تماماً كما في نصّي عزرا ونحميا. وقد وصفهم الراجز اليمني الرداعي في أرجوزته عن الحج

على النحو التالي (صفة: 355):

فالأجرعين فحمى الأكراب

فالأجرعين فحمى الأكراب

مواطناً مُكلّنة الجناب

فأحرماً منها إلى الثعلاب

وهذا الرجز يحدد - على غرار قائمتي نحميا وعزرا - موضع بني عحرم قرب الأكراب. وبنو عحرم من حكام صور اليمنية، وقد سجلت التوراة اسمهم في صورة عحرم ملك صور الذي ساعد سليمان الملك في بناء هيكل الرب حين أرسل له الأخشاب من وادي صور. وبالطبع فمن غير المنطقي تخيل أن سليمان كان قادراً على استيراد الأخشاب من صور اللبنانية، بينما يشتهر وادي صور اليمني العظيم بأنه من أعظم الوديان في إنتاج الأخشاب. ولعل قصة الحريق الذي التهم الأشجار في صور اليمن (وورد ذكرها في حديث شريف) يدلل على حقيقة أن صور اليمن اندثرت بفعل حريق بركاني مدمر.

16: بنو عدين - عدين

يُطلق اسم مخلاف الكلاع في الماضي البعيد لليمن على ما يُعرف ببلاد ذي السفال (انظر السفال عندنا في مرويات التوراة عن الفلسطينيين). كما يطلق على بلد حبيش وعلى عدين - تصغير عدن - وقد وصف الهمداني ومحققه موضع بني عدين اليمنيين (صفة: 118) في بلد الكلاع - بالفتح - التي اشتهر سكانها بالحاق النون في كلامهم (فهم يقولون في صنعا - صنعن ولا وجود للنون اللاصقة إلا في العبرية واللهجات اليمنية).

17: بنو حقوفه - حقف

يُعد وادي الأحقاف (جمع حقف) من أودية حضرموت في بلد مهرة، وهو رمال تُعرف باسم رمال الحقف - مفرد أحقاف. وفي الموروث الديني والميثولوجي للعرب القدماء وللقبائل اليمنية؛ فقد دفن النبي هود - يهوده (يهودا) في هذا المكان داخل كهف. قال الراجز اليمني الرداعي (صفة: 400):

عن منزلٍ شأزٍ قليل الوقفِ

ثم استطفت كقطاة الحقف

براكب لم يدر ماذا يخفي

تعتسف المومة أي عسف

يقول الهمداني (صفة: 169 - 170) عن وادي حقف - الأحقاف ما يلي:

وساكن شبام من حمير ثم تريس وهي مدينة عظيمة، وينحدر المنحدر منها إلى ثوبه قرية بسفلى حضرموت في وادٍ ذي نخل، ويفيض وادي ثوبه إلى بلد مهرة وحيث قبر النبي هود، وقبره في الكثيب الأحمر ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف، وهو وادٍ يأخذ من بلد

حضرموت إلى بلد مهرة مسيرة أيام وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت.

18: بنو براقش - برقش

أقام بنو برقش إلى جوار أخوتهم من بني حقف في موضع يحمل اسمهم (براقش). وحول هذا الموضع دارت سلسلة من أساطير لقمان الحكيم¹⁰. والهمداني يقدم وصفاً مسهباً عن مواضع هذه الجماعة (صفة: 170 - 171) فهم يقطنون سوياً مع بني حقف قرب قبر النبي هود في الكثيب الأحمر أسفل وادي حضرموت. يقول الهمداني (ولاحظ استخدامه لتعبير شَعْرَاء): ومن أوطان الجوف: معين¹¹ وبراكش ثم كمنا وروثان (..) وأتان إلى وتران. كل هذا شَعْرَاء بين شاعر والشعر أودية كتاف، يسيل إلى العقيق، والعطف، وضدح، وادٍ لأمير ينتهي إلى الغائط والحضن بنجران لها ولأمير. والمشهور من محافد اليمن وقصورها القديمة التي ذكرتها العرب في الشعر والمثل، قصور ناعط وصرواح وسلحين وريام وبراكش ومعين وروثان والنجير بحضرموت.

19: بنو محيدا - بنو الحيدا

أقامت هذه القبيلة في وادٍ يُعرف بالاسم نفسه هو وادي الحيد - محيد على مقربة من أخوتهم بنو معين - معونيم عند عزرا ونحميا. هاكم مقارنة أخرى:

نحميا:	الهمداني 232
وبنو بيصه ثلاث مئة وأربعة وعشرون (..) وبنو محيدا	وادي الحيد ووادي خُلب (..) وعثر ساحل جليل، ووادي بيض.

هذا هو الساحل وهناك وادي بيصه - بيض ومحيد - الحديد.

20: بنو سوطه - سوط

أقامت هذه الجماعة في موضع يحمل الاسم نفسه؛ هو وادي سوط في اليمامة وكان - في عصر الهمداني لبني جَرْم (بيت تُجرمه¹²) وورد ذكرهم في وصف أودية اليمامة وقبائلها (صفة: 253):

21: بنو حارف - حارف

في النص العبري يُسجل اسم الجماعة، وعدد أفرادها العائدين إلى يهوذا على هذا النحو: بني - حارف - مئه - شنيم - عشر (بنو حارف مئة واثنان عشر). ولأن العبرية لا تعرف حرف الخاء المُعجمة، فقد استعاضت عنه بحرف الحاء المهملة (حارف). والضبط الدقيق للاسم هو قبيلة حارف اليمانية الشهيرة التي عُرفت بموطنها القديم حارف. (الهمداني: صفة: 220 - 221) في أول حدود حاشد حيث رُحابة وما وراءها إلى صنعاء، ثم البون وهو من أوسع قيعان نجد اليمن، ثم قريس وصيحة ومساك وظبرة وهي لبني حاطب من الحارف. أما أسواق حاشد فأولها وأقدمها سوق همل، وهمل من الحارف وهي سوق جاهلية وباري للفائش - الفائش¹³ وهم من قبائل الجبر - جبر.

22: نطوفه¹⁴ - نطوف

يُرسَم اسم هذا الوادي بدقة في بيت شعر لأمية بن أبي عائذ في صورة وادي النطوف، من دون الهاء الزائدة. ومن الواضح أن اللهجات القبائل وأشكال نطقها للحروف، أكثر من دور حاسم ومكرّس لطرائق النطق عند الآخرين وفي ظهور أساليب رسم متباينة كذلك. قال أمية بن أبي عائذ راسماً الاسم على نحو مُطابق للرسم العبري (معجم البكري، طبعة بيروت: 1: 113):

فالسودتين فمجمع الأبواص

لمن الديار بعلي فالأخراص

فالنمر فالبرقات فالأنحاص

فضُهاء أظلم فالنطوف فصائف

وعند كثير الشاعر اليمني، يُعد النطوف من أودية تهامة اليمن على مقربة من هضبة جبلة¹⁵، وبطن السرير وأسفل وادي الرمة. وقد رسمه الهمداني على جري عادات العرب الصوتية

في صورة نُطاف استناداً (صفة: 259) باعتباره من وديان بطن السرير أسفل وادي الرمة (..)
وهي على التوالي: عكاش وُخف والنُّطاف.

هذه - بصورة إجمالية - القبائل والجماعات العائدة من الأسر البابلي إلى سلسلة جبال يهوذه.
وهي كافية للتأكيد على ما ذهبنا إليه (ويمكن في مناسبة أخرى نشر القائمة كاملة). فهل هي مصادفة
أن القبائل التي وقعت في الأسر تحمل الأسماء نفسها كما في نصوص التوراة والهمداني والشعر
الجاهلي؟ بينما لا تعرف فلسطين اسماً واحداً مما ورد في القائمتين؟

الفصل الثالث

إعادة بناء أورشليم في سرة اليمـن

في العام 446 ق.م، وبعد نحو سبعة وثمانين عاماً من سقوط بابل في قبضة الفرس، أصدر الملك الفارسي إرتخششتا الأول، أمراً ملكياً جديداً يُسمح بموجبه لبقايا اليهود من القبائل العربية - البائدة - التي أسرها الآشوريون، ولم تتمكن من الاستفادة من مرسوم الملك قورش، أن تعود إلى مواطنهم الأصلية. بيد أن أهم ما جاء في المرسوم، كان التأكيد على حق الأسرى العائدين في بناء ما تهدم من مدنها وقراها، ومنها بشكل أخص العاصمة الدينية أورشليم. وبموجب هذا المرسوم عاد نحميا النبي (الذي وضع القائمة الأصلية بالعائدين) إلى أورشليم. كان الفارق الزمني بين قائمتي عزرا 540 ق.م وقائمة نحميا 446 ق.م، يشير إلى أن حل مشكلة بقايا الأسرى قد استغرق نحواً من سبعة وثمانين عاماً، وأن نحميا النبي نفسه (الذي لم يكن قد ولد في عام سقوط بابل 539 ق.م) هو في عداد هؤلاء المستفيدين من المرسوم الجديد. وفور عودته إلى موطنه في سرو حمير، مكث نحميا - نحميه ثلاثة أيام في منزله، قبل أن يُباشر بدعوة سكان أورشليم إلى الشروع الجدي والنشط في العمل على ترميم ما تهدم منها. وكنا نتبعنا في ما مضى من صفحات أسماء هذه القبائل.

واستناداً إلى النص العبري من التوراة، فقد انطلق نحميا ليلاً من موضع يدعى شعر، وهو كما قلنا (جبل شعر، وليس ثمة في فلسطين جبل بهذا الاسم) فبلغ مكاناً وادياً شهيراً يدعى وادي عيان. ثم وصل أثناء تفقده للأسوار وادياً يدعى ها - تنين - التتين، حيث رأى بنفسه الخراب الذي عم أسوار المدينة في موضع فروصيم - الفراضم، وشاهد ما تركته النيران هناك من أثرٍ مدمر. ثم اجتاز المكان متجهاً من (جبل شعر ووادي عيان) إلى موضع عل - بركت - سلوه - مياه سلوه قرب جن - جن، قبل أن يصل وإلى وادي ها - ملك - المالك ثم وادي جنات - جنات. وأخيراً وصل نحميا

- نحميه النبي إلى تحتم وبهمه (وحتى اليوم هناك قرية في الساحل السوري تسمى كفر بهم)، قبل أن يجتاز الوادي من جبل شعر مرة أخرى في طريق عودته. ولم يكن أحد من الكهنة، إذ ذاك يعلم بخطط نحميا بخصوص إعادة بناء أورشليم. ويبدو أنه حرص على جعل الأمر أقل إثارة للخلاف، بسبب تحفظات القوى الطامحة إلى لعب دور رئيسي في إعادة البناء. وأكثر القوى طموحاً هم الكهنة والقبائل اليمينية اليهودية التي لم تتعرض للنفي، وظلت في أرضها وأوطانها. ومع ذلك سرعان ما تسربت الأنباء عن عزم نحميا قيادة عمليات البناء.

كانت إعادة البناء ترتبط - من المنظور السياسي - بالصراع على عرش داود، أي بالصراع على تسمية ملك جديد في مملكة يهوذا (قوم هود في المرويات العربية الإسلامية). فضلاً عن ارتباطها بحساسيات قبائلية بعضها يتصل بمسألة الخوف من تمنع الفرس، وربما غضبهم من عودة المملكة اليهودية إلى واجهة الأحداث. وهذا بدوره كان يتلازم مع مخاوف تقليدية من تنامي دور الإمبراطورية الفارسية في السراة اليمينية بعد أن أصبحت فارس الإمبراطورية الأعظم في المنطقة. هذا النفوذ - كما سنبرهن - بدأ اعتباراً من هذه اللحظة، ولسوف يستمر طويلاً. وفي الواقع؛ فإن الأساس التاريخي للنفوذ الفارسي في اليمن والذي تجلى في أنصع صورته في الصراع الروماني - الفارسي، منذ سقوط ميناء عدن في يد القوات الرومانية نحو العام 50 ق. م؛ إنما يعود إلى هذه اللحظة بالذات، وحيث ارتبط منذئذٍ بفكرة التحرير. وسوف نرى أن فكرة التحرير الفارسي لليمنيين، أي تحرير القبائل اليمينية اليهودية من الأسر البابلي، ذات وشائج ثقافية حميمة بالتحرير الفارسي لليمن من نفوذ الحبشة المسيحية، الوكيل القوي لروما في المنطقة نحو العام 570 للميلاد. إن بعض أوجه المقاومة التي ظهرت إبان محاولة نحميا قيادة عمليات بناء أورشليم، تكمن في التنافس المحموم بين القبائل العائدة من النفي، وتلك التي ظلت في أرضها، وهو تنافس تقليدي بين العائدين الطامحين إلى الزعامة، والقوى المحلية. كما أن بعض أوجهها الأخرى تتصل بالصراع بين الوثنيين والموحدين.

سارعت قبيلة جشم اليمينية - العربية البائدة (والتوراة تقول إن جشم قبيلة عربية وتسميها جشم العربية حرفياً) مع أولى الأنباء عن شروع نحميا في عمليات إعادة البناء إلى قيادة معارضة قوية، انطلاقاً من إحساسها بأن هذه العمليات سوف تؤدي إلى الصدام عاجلاً أم آجلاً مع الفرس، وبالتالي تكرار الأحداث المأسوية التي عاشها هؤلاء مع الاحتلال الآشوري. كما وجد العمونيون - سكان نجران - في التصدي للمحاولة ومقاومتها، فرصة لمنع تكرار الاضطهادات التي تعرض لها

هؤلاء في عهد داود وأسلافه. أي: مقاومة عودة الاضطهاد الديني الذي مارسته اليهودية ضد الوثنية والوثنيين في نجران. ومع ذلك؛ وبالرغم من وجود كل هذه القوى المُتمنعة، قرر نحميا المضي قدماً في أعمال البناء والمباشرة فيها. وسرعان ما انضم عدد من كهنة الجدول إلى عمليات إعادة البناء.

بدأت أعمال البناء الأولى - وحسب وصف نحميا نفسه - من موضع شعر وضئن - ضآن (غنم الذي كان موضعاً مقدساً) وصولاً إلى مجدل - مجدل، فالى حنن - عيل. ثم استمرت من شعر - ها - دجيم إلى تنوريم وبركت - سلوه. وتواصلت بعد ذلك من مياه سلوه إلى وادي جن ووادي - ها - ملك حتى عير - دويد (منازل دويد) مروراً بموضع قبره - مقبرة، فالى بيت جبريم - بيت الجبر. ومن بركت - ها - عشويت - بركة العشتين حتى نشق - أرض نشق فالى فتح - فتح، وبيت يشب - علب (الشبا). ومن بيت ها - ملك وها - عليون إلى وادي حصر - حصر.

وأخيراً امتدت أعمال البناء في مطره - مطرة. هذه هي أسماء المواضع التي تفقدها نحميا قبل أن يباشر في أعمال ترميم أسوار العاصمة الدينية أورشليم، بمساعدة وتأيد مباشرين من الكهنة.

وصف أسوار أورشليم

رأينا من موجز القصة، أن نحميا تفقد مواضع أسوار المدينة المحترقة والمدمرة، قبل أن يشرع في إصلاحها بالرغم من وجود قوى معارضة. ولا بد - في إطار هذا السرد - من ملاحظة أن كلمة شعر العبرية تؤدي معنى باب، مثلما اجتهد المترجمون وهو اجتهد صحيح. لكن المعنى لن يستقيم في حال اعتماد هذا المكافئ، إذ لا يقصد سارد النص أن نحميا سار كل هذه المسافة لينطلق من (الباب) بل قصد الإشارة إلى جبل شعر الذي انطلقت منه أعمال البناء في الوديان. وهذا ما نراه بوضوح في جملة: (وعصئه - ب - شعر - ها - جيء - ليله) أي (وخرجت في شعر المرتفع ليلاً). ولو كان المعنى المقصود ينصرف إلى (الباب) لما أضاف سارد النص كلمة هجيء، أي: المرتفع، لأن لا أبواب للوديان كما نعلم. هذا يعني أن المقصود ليس باباً من أبواب المدينة وحسب، وإنما وادي جبل شعر نفسه، وهو كما رأينا مخلاف شهير من مخاليف اليمن. وهكذا، وقبل أن تنطلق أعمال ترميم الأسوار من هذا المكان، اتجه النبي إلى (فني - عين - ها - تنين - وأل - شعر - ها - عشت) أي: إلى أمام وادي عيان ووادي تنين فالى جبل شعر فوادي الشفاه. وبالطبع فهذه أسماء أماكن يستحيل العثور عليها في القدس العربية. على هذا النحو شاهد نحميا الحطام الذي تركته الحرب في أسوار أورشليم الممتدة حتى موضع فروصيم. واللافت للانتباه، أن المترجمين الذين لم

يعثروا على مكافئ عربي مقبول لكلمة فروصيم، أعطوا مرة أخرى المعنى التالي (باب الزبل). وفي الواقع لا يوجد (باب للزبل أو النفائات) في مدينة مقدسة مثل أورشليم، بل موضع يُدعى فروصيم - فراضم (والعبرية لا تعرف حرف الصاد وتستبدله بحرف الصاد مثل عرص - عرض). وهناك؛ شاهد نحماً أيضاً كيف أن النار التهمت أجزاء واسعة من الغابات: (وشعريه - عكلت - ب - عيش) أي (والشعراء أكلت بالنيران). وهذا يؤكد المعنى الحقيقي لكلمة شعر - شعريه، أي أن الأشجار الكثيفة. وكنا رأينا أن كل مكان كثيف الأشجار ولا دخل ليد الإنسان فيه يُدعى عند اليمين القدماء شعر - وشعراء. ثم اجتاز نحماً موضع الشعر هذا متجهاً صوب وادي عيان، وصوب البركة ثم وادي الملك: (وءعبر - عل - شعر - ها - عين - وعل - بركت - ها - ملك). أي (واجتازت الشعر وعيان والبركة ووادي الملك) وبالطبع لا يستطيع السائر في القدس العربية أن يمشي في هذه المواضع، لأنها أصلاً غير موجودة.

في هذا السياق سنتوقف أمام الجملة الإشكالية التالية. يقول نحماً (وعين - مقوم - ل - بهمه - ل - عبر - تحته). وقد أعطى المترجمون الجملة التالية (فلم يكن للدابة التي تحتي مكان تجوز عليه). بيد أن الجملة - حرفياً - لا تقول هذا المعنى وليس ثمة ما يبرر مثل هذا الوصف؛ إذ من غير المنطقي أن تكون الوديان خالية من موطن قدم لدابة، وهي وديان فسيحة مترامية الأطراف؟ ما يقصده النص هو التالي: (ليس من مسكن، إلى بهمه حتى تجتاز التحت). وهذان الموضعان (بهمه والتحت) هما في المكان نفسه الذي وصفه نحماً.

ليس ثمة دابة لم يجد راكبها موطن قدم لها، بل هناك موضعان بالاسمين نفسيهما. رأينا، مما سبق، أن نحماً يصف مواضع كثيفة الأشجار (أي غابات محترقة) لم تدخل فيها يد الإنسان على امتداد الوديان؛ ولذا سيكون أمراً منطقياً أن لا يشاهد - هناك - أي مساكن للقبائل، علماً أننا أشرنا إلى حقيقة أن مواضع شعر وشعراء ظلت أماكن لرعي القبائل البدوية حتى اليوم. بعد ذلك صعد نحماً في الوادي ليلاً، وكانت الأسوار أمام ناظريه محطمة، فمضى عائداً في شعر الوادي يدعو الكهنة وعموم اليهود والقبائل إلى إعادة بناء أسوار المدينة. وقال لهم¹⁶:

أَنْتُمْ تَرَوْنَ الشَّرَّ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، كَيْفَ أَنْ أُورُشَلِيمَ خَرَبَتْ، وَأَبْوَابُهَا قَدْ أُحْرِقَتْ بِالنَّارِ. هَلُمَّ فَنَبْنِي سُورَ أُورُشَلِيمَ وَلَا نَكُونُ بَعْدُ عَارًا. (نح 2: 17)

וְאָמַר אֲלֵהֶם, אַתֶּם רֹאִים הָרָעָה אֲשֶׁר אֲנִיחֵנוּ בָּהּ, אֲשֶׁר יְרוּשָׁלַם חֲרָבָה,
וְשַׁעֲרֶיהָ נִצְתּוּ בָאֵשׁ: לָכֵן, וְנִבְנְהָ אֶת-חֹמַת יְרוּשָׁלַם, וְלֹא-נִהְיָ עוֹד,
חֲרָבָה.

(וְעוֹמֵר - אֵלֵהֶם - עֹתֵם - רִאִים - הָא - רַעָא - עֹשֶׁר - אֲנִחֵנוּ - בֵּה - עֹשֶׁר -
יְרוּשָׁלַם - הָא - חֲרֵבָה - וְשַׁעֲרֵיהָ - נִצְתּוּ - ב - אֵישׁ - לָכוּ - וְנִבְנְהָ - עֹת
- הָא - חוֹמַת - יְרוּשָׁלַם וְלֵא - נִהְיָ - עוֹד - חֲרָבָה).

ما يقوله هذا المقطع من النص هو التالي:

(فقلتُ لهم: أنتم رأيتم - الرعا - الذي نحن فيه. وأورشليم المخرّبة التي
احترقت بالنيران، فلنقم ونبني أسوار أورشليم حتى نهيه وعود وحرف)

تعرض هذا المقطع إلى تشويه فظيع؛ حين كافأ المترجمون جملة (וְאָל - נִהְיָ - עוֹד -
חֲרָבָה لֵא - نִהְיָ - עוֹד - حֲרָבָה) إلى (ولا نكون عاراً بعد اليوم). ومع أن مؤدى الجملة العبرية لا
يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى العار - الذي تكرر في كلام نحemia من دون مبرر - بسبب
الترجمة الخاطئة - فإن المترجمين الذين يجهلون المواضع التي شهدت ولادة وموت أورشليم
القديمة، لم يترددوا في إعطاء تأويل عشوائي آخر، فقد تحولت كلمة ها - رعا إلى العار، مع أن كلمة
رع العبرية وليس ها - رعا هي التي تؤدي معنى الإساءة أو الخزي. كما تحول وصف نحemia
للمواضع التي يريد إصلاحها وترميمها - من أسوار المدينة - إلى جملة إنشائية عن العار الذي
سوف يلحق بها.

ولسوف نرى أن مواضع نُهيه وحرف والرعا وعود، هي من أهم المواضع التي ارتبطت
تاريخياً ببيت بوس - أي: بأورشليم اليمينية.

ما إن سمع سنبلط الحوروني - من وادي حوران - وطوبيا - من بني عمون - وجشم ها -
عربي (جشم العربي) حتى تعالت اعتراضاتهم على الفكرة، لا تخوفاً مما يمكن أن يجلبه ذلك من
مخاطر، وإنما لأن نحemia استثنى هذه الجماعات من حق المشاركة أصلاً. إثر ذلك؛ بدأت عمليات
إعادة البناء التي قادها كاهن الجدول بدءاً من موضع شعر وصئن - ضأن (غنم)؛ فأصلحوا
المداخل حتى مجدل وها - مأه المقدسة، وكذلك عند مجدل حنن - عل (الحنّا) حيث تسابق الرجال،

فامتدت أعمال الترميم إلى طرف جبل شعر ووادي دجيم (وادي الدجوج) فأصلحت المداخل والأبواب والمخارج. ثم بلغت تخوم أورشليم القديمة عند أسوار (ها - رحبة والمجدل) من جهة وادي تنوريم - نوريم. كما امتدت إلى مخارج جبل ألف - عنف وفي عمه وحوامه وعند شعر من جهة ها - شفوت (الشفاه). ثم من السور الذي في ركبت - الركب وسلوه - سلوه، وصولاً إلى وادي جن - جن ووادي ها - ملك - الملك؛ فإلى عير - دويد (منازل دويد).

هذه - بإيجاز شديد - هي أورشليم التي عاد إليها المنفيون، وباشروا أعمال البناء في أسوارها المهدامة. ومن غير أدنى شك؛ فإن السرد الدقيق الذي قدمه النبي نحما - نحمنيه هو توصيف لمدينة لا صلة لها بمدينة القدس الفلسطينية، إذ لا وجود فيها لأي مكان من الأمكنة الواردة في النص. وسوف تتجلى المفارقة الكبرى حين ندقق في قائمة أسماء القبائل والجماعات التي شاركت في بناء المدينة، فهي قبائل عربية - يمنية دانت بدين اليهودية لا تزال بقاياها هناك في السراة اليمنية وليس في فلسطين. لقد وصف الهمداني سائر هذه المواضع قرب بعضها البعض، فتعالوا نتتبع الطريق إلى أورشليم التوراة، ونعيد اكتشافها لنفرغ نهائياً من الخرافة القائلة أن القدس هي أورشليم.

في وصفه لشرق صنعاء الذي يقع بينها وبين مأرب، نعني مخلاف خولان - جولان التوراة أعظم أودية اليمن وأكثرها خصباً وشهرة، يحدد الهمداني سائر المواضع المذكورة في هذه القائمة، وبالصيغ ذاتها وحسب تسلسل وقوعها في السراة، بدءاً من بيت بوس. ومن أجل تقريب صورة أورشليم اليمنية - التوراتية، سنقوم بإعطاء وصف مكثف للأماكن. قلنا إن التوراة تسمى أورشليم: بيت بوس، كما أن مخلاف اليهودية عُرف باسم أورشليم أيضاً. أي أن اسم أورشليم يُطلق على المملكة - المخلاف: يهوذه باعتباره دار سلام (كما يطلق على بيت بوس في آن واحد). وحسب النص أعلاه؛ فإن نحما تفقد الأسوار في المدينة ثم شرع في البناء على امتداد السرو، أي على امتداد السراة الجبلية. هاكم وصف الهمداني لبيت بوس اليمنية، وما جاورها من سائر المواضع الواردة في القائمة وفي سياق النص أعلاه (صفة: 153 - 165 - النص مُختصراً):

وتفضي - السيول - إلى موضع السد بين مأزمي مأرب ثم الحرجة وحزمة البشريين (حزمة البشريين تسمى اليوم: سلوه في وادي عبيدة وفيها آثار عظام - المحقق). ثم الجوف وهو منفهق من الأرض فيه أنف، ويفضي إليه

أربعة أودية وما أقبل من أشراف نقيل السود فبيت بوس (..) ومطرة وفيها أودية كثيرة (..) فالرحبة إلى حدقان (..) ويلتقي بمياه الخارج التي هبطت من صنعاء ومخاليفها فتلتقي بالمناحي ثم يصبان بعمران من أرض الجوف. وهذا الجانب لبني نشق وبني عبد بن عليان. والوادي الثالث يظهر في زاويته وحوام والمناحي لبني علوي (..) فتلقاه سيزل بلد بني حرب (...) وسيل الفقع والمصرع وعيان والمقبرة ويلقي هذه المياه إلى ناحية الواجرة الشبا.

وإذا ما سرنا على خُطى نحما والهمداني انطلاقاً من بيت بوس ، وتفقدنا أسوار المدينة المحطمة في السراة الجبلية، ثم مضينا في الأودية المحيطة بها، فنطابق بين الأسماء في النص المقتطف من الهمداني مع جزء من قائمة نحما؛ فسوف نكون وجهاً لوجه ودفعة واحدة أمام أكثر من عشرة مواضع - مما ورد في القائمة - ها هنا بيت بوس وهي أورشليم كما تقول التوراة، وإلى الجوار بركة سلوه - مياه سلوه، ثم مطره وأوديتها الكثيرة. وقبل أن نتجه نحو بيت نشق - نشق عند الهمداني - سنتجه نحو عيان - عيان في القائمة - ثم إلى بيت اليشب - الشبا. وها هنا المقبرة (قبره). وعدا هذا كله، هناك جبل ألف - ءنف التي توهمها المترجمون كلمة دالة على القياس (ألف ذراع) مع أن النص العبري لا يشير إلى ذراع أو ياردة أو أي وحدة قياس. وها هنا الرحبة - ها - رحبة والعشتان - عشتوت. هذا الفضاء الجغرافي المتكامل يتيح لنا فرصة التأمل عميقاً في مغزى القصة التوراتية عن إعادة بناء أورشليم، بوصفها فكرة تنبع في الأصل عن استطراد ثقافي لتقاليد بناء الأماكن الدينية أو المحرّمة. وبالفعل؛ فإن أورشليم القديمة كما عرفها اليمينيون كانت مدينة الضعفاء من الناس، من الحرفيين والمتكسبين الذين لا يجيدون القتال، وهم يعيشون فيها كجماعة مسالمة. وحتى اليوم لا يزال اليمينيون يحتفظون بصورة مثيرة عن نفور البدو من دخول هذا النوع من المدن، فهم لا يفضلون العيش فيها لأنها (مدن ضعفاء الناس). وقد أطلق اليمينيون في وقتٍ ما على بعض المدن اسم (هجرة) وكأنها إشارة إلى أن سكانها من الغرباء. ويكفي أن ننعم النظر في وصف الأزرقى، الإخباري الشهير لبيت العبادة اليميني (القليس) من أجل القيام بمقاربة مع أسلوب بناء أورشليم؛ وهو وصف شيق ونادر لمكان عبادة ديني يخص اليمينيين. إن أسلوب البناء يُذكرنا بالأسلوب الذي اتبعه نحما في بناء الأسوار. وإذا ما عدنا إلى خولان شرق صنعاء، متتبعين خُطى

نحميا على الطريق ذاتها من الوادي، ومتجهين إلى وادي تنين؛ فسوف نكون مرة أخرى أمام
المواضع ذاتها (صفة: 215 - 217):

الأودية أولها من شمالها: منازل آل الروية وبعد ذلك قرى كثيرة
مثل: البركة (...) ويلاقيها سيل مغارب صنعاء من مخلاف مأذن والبوارق
(..) وما يصب منها إلى مأرب، فهو ملاقي لمياه عنس وذمار وردمان
وتنين (..) وبلد همدان فإنه أخذ لما بين الغائط وتهامة ونجد السراة في
شمالي صنعاء (.) ومن شرقي الرحبة ويسكن هذه المواضع بلحارث ومن
همدان ووادي مطره (..)

وبمطرة أودية عظام فيها الزروع والأعقاب (..) وإتوة لذبيان بن عليان (..) إلى مساقط
الجوف (....) وساكن هذه المواضع ضاحية وضياف بن عليان، - فوادي - عيان.

هذه هي البركة - البركة وهذه هي تنين - تنين التي سار إليها نحميا. وها هنا وادي مطره -
مطرة ووادي عليان - عليون والرحبة - الرحبة. وإذا ما مضينا في هذا الفضاء الجغرافي الرحب
قصّد التعرف على أثر مُحتمل للجماعات والمواضع الواردة في نص نحميا، فسوف نكون، مرة
أخرى، أمام الأسماء ذاتها. هاكم وصف الهمداني لحدود حاشد (صفة: 220 - 223): فأول حدود
حاشد وما وراءها إلى صنعاء، البون والرحبة وقاع وجرفة حاشدية - بوسانية وسنام الظاهر بلد
وادعة بن عمرو بن مالك بن جشم (..) فما بين ذلك الغيب فبهمان (..) وتسمى عذر هذه عذر مطرة
(..) وباري للفائش من الجبر وعيان. وها هنا أقام بنو جشم العرب الذين قادوا المعارضة القوية
لبناء المدينة، بسبب ذعرهم من أن يؤدي ذلك إلى عودة الفرس للضغط عليهم، وربما تكرار تجربة
الغزو والسبي. وإلى جوار مضارب هؤلاء قرى تعدّ بوسانية وحاشدية (أي تنتسب إلى بيت بوس
وإلى قبيلة حاشد - وفي قصص سليمان سنرى الاسم نفسه: حاشد). وها هنا وادي بهمان - بهمه
(بالحاق النون الكلاعية في نطق أهل اليمن والذي تصوره المترجمون بهيمة أو دابة ركبها نحميا فلم
يتمكن من اجتياز الطريق). بينما يصفه الهمداني وصفاً مُسهباً ضمن بلد حاشد، كوادٍ خصب فيه
أنواع من العنب الجيد وإليه يُنسب العنب البهماني. وهذا الوادي هو بالضبط قرب الخارف كما في
النص أعلاه. وفي هذا الفضاء الجغرافي نجد أودية مطرة وعيان - عين وقبائل الجبر - جبريم. ثم
مخلاف الجند وهو قاع - تقوع في النص. إن التوصيف أعلاه لا يحتاج إلى الكثير من التفاصيل

للاستدلال إلى أورشليم التوراتية - اليمنية، أو إلى أسوارها التي جرى ترميمها؛ إذ يمكن للسائر على خطى نحميا أن يتجه من خولان فحقل صَعْدَة وصولاً إلى نجران، ليشاهد جبل ووادي شعر وشعراء؛ بل وأن يشاهد الأشجار الكثيفة المحترقة هناك وقد توزعت فوق مساحات شاسعة.

على هذا النحو، تتكشف أمامنا أورشليم القديمة المحترقة شيئاً فشيئاً؛ كما يتكشف أمامنا المعنى الحقيقي لقول نحميا: (فلنقم ولنبن أورشليم من نُهيه حتى العود وحرف) فإذا ما سرنا من مخلاف مأرب متجهين إلى بلد الركب، الذي رأينا أن سيول جباله تبلغ تخوم نجران، فسوف نجد هناك جبل بني مالك وتحتم¹⁷ - تحته وهو من الجبال المسنمة. قال فيه السليكم بن السلكة (صفة: هامش المحقق: 204):

بحمد الإله وامرئ هو دلني

حويت النهاب من قضيبٍ وتحتما

وقال فيه ليبيد:

وهل يشناقُ مثلك من ديارٍ

دوارسٍ بين تحتم فالخلالِ

وهذا ما سنرى مغزاه في قائمة أسماء القبائل العربية اليهودية التي شاركت في بناء أورشليم.

القبائل والجماعات المشاركة في بناء أسوار أورشليم

تولى كاهن ها - جدول - الجدول ويُدعى عل - شب - الشبا بنفسه، ومعه طائفة من اليهود، ببناء سور أورشليم من جهة جبل صنن - ضأن (غنم). وصنن - ضأن هذه تُرجمت إلى الغنم، بحيث أصبحت الجملة على النحو التالي: (وبنوا باب الغنم). ومع أن فلسطين لا نعرف باب الغنم هذا، وليس ثمة موضع في طول القدس وعرضها يُدعى غنم؛ فإن الهوس بلغ ذروته مع الحفريات الأثرية تحت مسجد قبة الصخرة في القدس، بحثاً عن بقايا أسوار وأبواب أورشليم، وخصوصاً باب الغنم المزعوم هذا. ولذلك سعى التوراتيون إلى المطابقة بين اسم جبل أبو غنيم البعيد عن مسجد قبة

الصخرة، وبين غنم التوراتية هذه. في الواقع لا يوجد موضع أو باب قديم لأورشليم يُدعى باب الغنم؛ بل هناك جبل مقدس وشهير في السراة اليمنية هو جبل غنم بالفعل، وليس أبو غنيم. وهذا الجبل لا يزال يحمل الاسم المعرب غنم - من كلمة صُنن العبرية - في المكان نفسه. ويبدو أن كلمة ضأن أغرت المِخيال الأوروبي على الافتراض، أن المقصود منه جبل غنم. ولكن علماء الآثار لم يعثروا على جبل بهذا الاسم، بينما نجده في السراة الجبلية اليمنية وباسمه المعرب: غنم. ثم شرع الكاهن شبا (كاهن الجدول) بإصلاح وبناء أول أسوار أورشليم من موقعه في الجدول نفسها حتى وادي (ها - مأه) الماء. والغريب أن المترجمين رسموا الاسم في صورة المئه - المائه (متخيلين الاسم رقماً) بينما الضبط الصحيح له هو: الماء (بمعنى الماء والهاء الأخيرة حرف صوتي مثل يهريق الماء في يريق الماء) وفي التثنية المأوان. وهي مياه على مقربة من جبل غنم ويا للمصادفة. ثم ما أن شرع الكاهن في إطلاق إشارات البناء الأولى، حتى سارعت إلى المشاركة قبائل عدة تسجل التوراة أسماءها بدقة متناهية وهي:

قبيلة بنو عمري وعلى رأسهم زكريا زعيمهم وكاهنهم. وهؤلاء ساهموا في بناء جزء من السور في مجدل - وها - مأه. ثم قبيلة بنو شنأه - شنوءة¹⁸ التي تولت ترميم الجزء الممتد من جبل شعر - ها - دجيم (الدجوج). وفي هذا الإطار كافأ المترجمون الاسم (دجيم) بـ (باب الحوت) مفترضين أن الأمر يتعلق بالكلمة العبرية دج بمعنى حوت، سمك¹⁹ بينما المقصود موضع الدج طبقاً للرسم العبري، كما أن اسم هذه الجماعة في الضبط العربي الصحيح هو شنوءة وليس شنأه، وهؤلاء يعرفون في التاريخ اليمني والعربي القديم بأنهم أزد شنوءة - أسد شنوءة. وبينما كانت أعمال الترميم مستمرة، دخلت جماعات أخرى منهم بنو الفرص (الفرض - الفارض) ومشلم بن بركيه - السلم بن برخيا ومعهم أفراد من النقوعيين - من مكان يدعى تقوع - قوع (والتاء حرف لاصق مثل تعرم في عرم) وبنو بعته - بعته (قارن مع اسم البعيث الشاعر) ليتخذ ترميم الأسوار عندئذٍ مساراً جديداً في موضع يسميه النص التوراتي (صورم) في وادي عبت - عبيدة.

سنتوقف هنا قليلاً لإثارة مسألة تبدو شائكة في النص العبري؛ إذ وقف المترجمون حائرين أمام بعض الكلمات في النص الخاص بتوصيف أعمال الترميم، ولذا قدموا ترجمة محيرة أكثر غموضاً من النص يقول نحيا: 2: 11: 3: 8 ما يلي:

אֲחֵרֵי הַיְזִיקוֹ הַמְקֻלָּעִים, מִדָּה שְׁנִית: מִנְּגֵד הַמְגִדָּל הַגָּדוֹל, הַיּוֹצֵא, וְעַד,
חֲזוֹמַת הָעֶלְפֵל.

وعله - يدم - ها - حزيقو - ها - تقوعيم - وعديريهم - لء - ها - بيئو -
صورم - ب - عبت - عدنيهم

وهنا الترجمة كما قدمها النص العربي من نحما: 2: 20: 3: 16

(وبجانبهم رمم التقوعيون، إلا أن أشرافهم لم يحنوا أعناقهم لخدمة أسيادهم)

لا تبدو هذه الجملة مفهومة؛ وهي مُصاغة بلغة عربية فقيرة الدلالات. في الحقيقة لم يكن هناك أسياد وعبيد في عمليات البناء، خصوصاً وأننا نتحدث عن مدينة مقدسة تنهض الجماعة الدينية، بعد خلافات مريرة في ما بينها، بعبء إصلاح أسوارها المهدمة. لا يتطلب الأمر قط أن تُحنى الأعناق ولا أن يُخدم الأسياد. كل ما في الأمر أن رجالاً من تقوع - قوع، شاركوا في أعمال الترميم من موضع يدعى صورم - صرم في وادي عبت - عبيدة. والجملة لهذا السبب تقول ببساطة ما يلي: وعلى أيديهم تمّ البناء. وحوّط التقوعيون الأساسات حتى صُرم - صورم في - وادي - عبيدة.

إن كلمة عدنيهم لا تعني السادة - من أدون العبرية - بل تعني أيضاً: الأساس والقاعدة. وعلى العموم لا تشير كلمة عبت إلى خدمة أو عمل، وإنما إلى اسم وادٍ شهير هو وادي عبيدة - عبت، الذي تصب فيه مياه سلوه قرب مأرب إلى جوار وادي نُهيّة - نهيه. ومثلما ورد في وصف الهمداني (صفة: 153) فإن الحرجة تؤدي إلى وادي نُهيّة في طرف صيهد (وحزمة البشريين هي التي تسمى سلوه في وادي عبيدة وفيها آثار عظام: محقق صفة جزيرة العرب). وعندما امتدت أعمال الترميم إلى وادي مَور (مور بالضبط في سفر التكوين) عند مسيل صرايم - صورم، دخلت جماعات قبلية أخرى ساهمت في تحسين المداخل. وهؤلاء كانوا على التوالي: من بني فاسح الذين تلقوا مساعدة من ملطيه من بني جبعون، ومن أهل الصفاة - ها - مصفه، ومن بني حارقهم²⁰. والاسم الأخير (حارقهم) مثير للحيرة بالنسبة للمترجمين. ولذا قدموا مكافئاً غريباً هو: الصّاغة. وهكذا أصبح لدينا، فضلاً عن الأماكن الملفقة مثل بيت السمك وبيت الحوت وبيت الزبل، وجماعات لا وجود لها مثل البوابين (شعرايم) ها هنا جماعة أخرى جرى تلفيقها ولا وجود لها في التاريخ: (الصاغة)، بينما الضبط الصحيح للاسم هو الحارق، والهاء في الاسم مشابهة للهاء في بعض

الأسماء، مثل: شمر يهرعش - يرعش (أحد أهم ملوك نجران). أما الميم فهي أداة التعريف (أو الجمع الحميرية - اليمنية). وإلى جانب هؤلاء شارك رجال من بني حور، ومن بني خرومف -²¹ مخارف. كما ساعدتهم بنو حشوب الذين رمّوا الأسوار حتى وادي تنوريم - نوريم. وإلى جوار هؤلاء أيضاً، كانت هناك جماعة قبلية أخرى يسميها النص التوراتي بنو لوحش²² - الوحش. أما مداخل الوادي فتولتها قبيلة زنوح حيث امتدت الأعمال، عندئذٍ باتجاه منطقة الجوف اليمني عند جبل أنف - ألف، بمعونة من بني ركاب الذين يقيمون في منطقة الكرم. أما وادي عيان فقد بنت الأسوار فيه قبائل من الصفاه ها - مصفه، وهي التي رمّت السور عند مياه سلوه، وفي وادي جن - جنة وجبل ها - ملك (جبل المالك).

في إطار هذا العرض الموجز، يتضح أن فلسطين لا تعرف أي اسم من أسماء القبائل الواردة في الخبر التاريخي عن بناء أسوار أورشليم وإصلاح أبوابها العتيقة المحطّمة في السراة اليمنية. وليس ثمة ما يدل على وجود بقايا لغوية أو جغرافية في مدينة القدس العربية، تشير إلى مواطن هذه الجماعات والقبائل. ومع ذلك لا تزال القراءة الاستشرافية السائدة للتوراة تفرض رؤيتها على التاريخ، بإصرارها على أن هذا الحدث وقع في فلسطين. ومن أجل ذلك فسوف نعطي أسماء هذه الجماعات والقبائل ومواطنها الحقيقية. هاكم قائمة بالأسماء كما وردت في النص العبري ومعها الضبط العربي.

قائمة بأسماء القبائل المشاركة في بناء أسوار أورشليم

الاسم في العبرية	الضبط العربي
1: ء مري	المر
2: شئنّه	شنوءة
3: حشوب	حُشْب
4: حور	حور
5: حارقهم	الحارق
6: خارومف	المخاريف

الوحش	7: لوحش
ركب	8: ركاب
زائح	9: زنوح

تحليل القائمة

عندما بدأت أعمال الترميم وإعادة البناء في أسوار أورشليم، ابتداء من جبل غنم إلى الغرب من صَعْدَة، سارعت بقية القبائل إلى المشاركة. ومن بين أهم هذه القبائل تلك التي يسميها نحيميا: بنو - شنئة (بنو شُنَّة). فمن يكون هؤلاء؟ في الواقع ليس هؤلاء سوى القبيلة اليمينية الشهيرة شنوءة، وهم من قبائل الأزد القوية. والهمداني على طريقته في الاعتزاز بنسبه اليميني، ينقل قصيدة لشاعر غير معروف (صفة: 326) يصف فيها أزد - شنوءة:

وبعدَ شنوءة الأبطال أضحتْ

بيوتهم تُرفع بالعمادِ

وأزد شنوءة من القبائل اليمينية الكبرى والقديمة التي أقامت في سرو مَذْحَج؛ ويزعم النسابون أن اسمهم جاء من الشنأة، أي: البغضاء التي وقعت بينهم. وكانوا على دين اليهودية. قال الشاعر (صفة: 179):

ونحنُ قتلنا الأزد أزد شنوءة

فما شربتُ بعداً على لذةِ خمرا

وهاكم وصف جبل غنم إلى الغرب من صَعْدَة (وإلى الجوار منه بنو زارح وهم عند الهمداني ومحققه: بنو رازح - بتقديم وتأخير حرف الراء). وجبل غنم هذا على مقربة من صرايم وعليان - عليون والخارف. يقول الهمداني (صفة: 128 - 132):

فمنقل سفران، فبلد حرب - بن وادعة - وهم بنو صريم وبني عبد، وغورها
أخرف وبلد حيران، وقبر عليان ووادي أمير، فغنم ومران وعرامى (ويقع

في بلد بني عمر من رازح:المحقق) وبلد الركب فيلنتقي هو ونخلة جنوبي زبيد(..) ويضمها سيل نعمان ثم تتحدر كلها في بلد الوحش.

ها هنا منازل القبائل ذاتها التي شاركت عند نحما في أعمال البناء: بنو عبت - عبد²³ وصورم - صرايم وبنو الوحش - الوحش. فضلاً عن جبل غنم وبلد الركب الذي جاء منه بنو ركاب - ركب. وإلى الجوار سلسلة من الجبال والأودية التي سبق لنا تحديدها. في هذا السياق سنتوقف - مرة أخرى - أمام اسم القبيلة لوحش - الوحش التي شارك أبناؤها في أعمال البناء. هاكم وصف الهمداني وتحديد الدقيق لحدود بلد الوحش وسكانه من قبيلة الوحش (صفة: 199 - 200):

وادي النّهي(..) والوحش من بلد حاشد ما بين نعمان وبلد الكلاع (..). ومخلاف العود.

يعني هذا أن القبائل اليمينية في السراة هي التي قامت بترميم وإعادة بناء الأسوار، في مكان تعرفه جيداً ويخصها في الصميم. وها هي السراة تحتفظ بأسماء هذه الجماعات، ببلداتها وقرائها وأوديتها تماماً كما في وصف نحما ومن دون أدنى تلاعب لغوي من جانبنا. أما المخاريف - خارومف - ولاحظ دخول الميم المنقرضة على الاسم - فإنهم يقيمون في المكان نفسه (صفة 132 - 136). هذا هو الفضاء الجغرافي المتكامل الذي جمع القبائل والوديان والجبال في وحدة نادرة، يستحيل العثور على ما يماثلها في جغرافية فلسطين.. وهذه التفاصيل توضح العلاقة بين وجود أسماء القبائل المشاركة في البناء، وبين المواطن والمواقع التي أقامت فيها وشملها الترميم؛ فمكان بلد لوحش - الوحش، مثلاً، والذين يُقيمون على مقربة من بيت بوس، شاركوا الجماعات الأخرى في المخاريف وفي وادي عيان - عين وصورم - صرايم، وبلد بني عبد - عبت سكان الوادي. لقد هرعت القبائل من معظم مخاليف السراة اليمينية؛ من عدن والكلاع وأبين وصنعاء وسواها، لتشارك في بناء أسوار أورشليم اليمينية التي دمرها الآشوريون.

الفصل الرابع

صورة الفلسطينيين في التوراة

- 1 -

لأجل فهم أعمق لمضمون الصور النمطية التي أنتجها المخيال الغربي (الاستشراقي) عن الفلسطينيين في التوراة، سأقوم ابتداءً، بعرض بعض المقاطع من سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 5، 1-6 من النص العبري حيث ترد الرواية التالية التي نجد ما يؤيدها في الإخباريات العربية الكلاسيكية (الطبري، اليعقوبي، المسعودي):

النص العبري

ופלשתים, לקחו, את, ארון ה'אלהים; ויבאֵהוּ מאֵבֶן הַעֶזֶר, אֲשֶׁדּוּדָה וַיִּקְחוּ פְלִשְׁתִּים אֶת-אֲרוֹן הָאֱלֹהִים, וַיָּבֵאוּ אֹתוֹ בֵּית דָּגוֹן; וַיַּצִּיגּוּ אֹתוֹ, אֶצֶל דָּגוֹן. וַיִּשְׁכְּמוּ אֲשֶׁדּוּדִים, מִמִּחְרַת, וַהֲנִה דָּגוֹן נָפֵל לְפָנָיו אֶרְצָה, לְפָנֵי אֲרוֹן יְהוָה; וַיִּקְחוּ, אֶת-דָּגוֹן, וַיָּשִׁבוּ אֹתוֹ, לְמִקְוָמוֹ. וַיִּשְׁכְּמוּ בַּבֹּקֶר, מִמִּחְרַת, וַהֲנִה דָּגוֹן נָפֵל לְפָנָיו אֶרְצָה, לְפָנֵי אֲרוֹן יְהוָה; וְרֹאשׁ דָּגוֹן וּשְׁתֵּי כַפּוֹת יָדָיו, כָּרְתוֹת אֶל-הַמִּפְתָּן--רַק דָּגוֹן, נִשְׁאַר עָלָיו עַל-כֵּן לֹא-יִדָּרְכוּ כֹהֲנֵי דָגוֹן וְכָל-הַבָּאִים בֵּית-דָּגוֹן, עַל-מִפְתָּן דָּגוֹן--בְּאֲשֶׁדּוּד: עַד, הַיּוֹם הַזֶּה וַתִּכָּבֵד יַד-יְהוָה אֶל-הָאֲשֶׁדּוּדִים, וַיִּשָּׁמֶם; וַיָּד אֲתָם בַּעֲפָלִים (בְּטַחְרִים), אֶת-אֲשֶׁדּוּד וְאֶת-גְּבוּלֶיהָ.

وها - فلشتيم - لقحو - عت - ءرون - ها - عليهم -

ويبء و- م - ء بن - ها - عز ر - ء شدوده - ويقحو -
فلشتيم - ء ت - ء رون - ها - ء لهيم - ويبء و- ء تو - بيت - دجون -

وهذا النص يقول ما يلي:

والفلسطينيون أخذوا تابوت الرب ومضوا به من (أوبن
العزيزار) إلى (شدد). ثم أخذ الفلسطينيون تابوت الرب
وأدخلوه إلى (بيت دجون).

يُفهم من هذه الرواية التي سوف تتكرر، أن بني إسرائيل اصطدموا بجماعة تُدعى «الفلسطينيين» نسبة إلى مكان بعينه يدعى فلس (والتاء الأخيرة لاصقة وردت في نقوش العرب مثل قریش - قرشت، فرس - فرست)، وأن هؤلاء خاضوا أولى معاركهم وتمكنوا من الاستيلاء على تابوت العهد في موضع آخر بعينه يُدعى أوبن العزيزار. وفي الترجمة العربية (أبان) والصحيح أنه (أوبن) كما هو واضح من التهجئة بالعبرية. وفي الواقع لا وجود (لفلس أو أوبن أو أبان) إلى جوار بعضها البعض في فلسطين التاريخية، مهما فتشنا هناك؛ بينما نعلم من الهمداني في «صفة جزيرة العرب» والشعر الجاهلي كذلك، أن (جبل أبان) من أشهر جبال العرب وأقدمها، وهو يقع بالفعل على مقربة مباشرة من أشهر بيوت العبادة الوثنيّة عند القبائل العربية، نعني «بيت الفلس»، وكان موضعاً جبلياً يتبع قبيلة طي اليمنية غير بعيد عن (سلمى) و(لبنان). كما نعلم من الشعر الجاهلي أن جبل (أبان) كان مسرحاً لمعارك القبائل. ويُحدّد بيت للبحثري جبل أبان هذا تحديداً دقيقاً للغاية، قال:

ولمّا غرّبت (أعراف سلمى)

لهنّ وشرقت قنن القنان

وخلّفنا أياسرَ وارداتٍ

جنوحاً والأيامنُ من (أبان)

من الواضح أن سلمى - الجبل - لا تبعد كثيراً عن جبل أبان، إذ يمكن للسائر انطلاقاً منها، أن يصل إلى الشمال من موضع واردات، قبل أن يتجه إلى الجنوب حيث جبل أبان.

إن مثل هذا الفضاء الجغرافي لا وجود له في فلسطين، فليس ثمة سلمى يمكن بلوغها إذا ما سرنا في الشمال الفلسطيني من موضع واردات، ثم ننعطف إلى الجنوب باتجاه أبان. إن هذا التحديد يتلاءم مع الإطار التاريخي للمعارك التي دارت بين القبائل العربية في طفولتها البعيدة (والتي تسمى أيام العرب) وهي وقعاتهم وحروبهم وغزواتهم، ففي هذا المكان تتزاحم القبائل بالمناكب بسبب سلسلة من التوترات والتفجرات الدينية والاجتماعية. فضلاً عن ذلك، ترك لنا أبو تمام أبياتاً رائعة من الشعر عن هذه الحروب الشرسة التي دارت. والأبيات التالية هي محض استطراد في ذكريات العرب التي ظلت تلازمهم عن المعارك في سفوح أبان:

وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم

إن الدم المغتر يحرسه الدم

ولقد جهدتم أن تزيلوا عزه

فإذا (أبان) قد رسا ويللم

ترسم هذه المقطعات الشعرية الجاهلية - الإسلامية، صورة مماثلة للصورة التوراتية عن معارك طاحنة بين القبائل، لا وجود لما يُماثلها في فلسطين القديمة. وكنا أشرنا إلى المكان الذي بُني فيه معبد «الإله فلس» معبود العرب القديم، وهو إلى جوار (لبنان) و(سلمى). وكما رأينا، فإن (سلمى) هي من جبال قبيلة طيء اليمنية. ولذا؛ فإنَّ المعارك الدائرة عند سفوح (أبان) بين بني إسرائيل والفلسطينيين (ها - فلستيم) لم تنشب في فلسطين؛ بل في هذا الفضاء الجغرافي الذي تعيش فيه القبائل العربية. وبالتالي؛ فإنَّ الفلسطينيين لم يكونوا طرفاً فيها، والزّج باسمهم في «قلب تاريخ زائف» من تليف مخيلة أوروبية، لا غرض له سوى إخراجهم من التاريخ الحقيقي بعد زحزحتهم من الجغرافيا، وذلك عبر تصويرهم كأحفاد لمهزومين أمام بني إسرائيل، ليس في العام 1948 للميلاد وإنما في العام 948 ق. م. هذا «الطرد من التاريخ الحقيقي» لجماعة بشرية معاصرة، و«حجزها داخل تاريخ ملفق» وتلطّيح سمعتها، يندرج في سياق تجريد السكان الأصليين الذين سلبت أرضهم مع بزوغ العصر الاستعماري، من كل ما يملكون من مقومات حياتية وعناصر

ثقافية، وتصويرهم كأحفادٍ لأشرار قدامى اغتصبوا تابوت العهد ذات يوم بعيد، فاستحقوا الهزيمة بسبب ذلك.

وفي هذا الإطار فهو يندرج في قلب استراتيجيات القراءة الاستعمارية للتوراة. فهل تعرف فلسطين جبلاً يُدعى (أبان) كما في النصوص التوراتية المتفرقة؟

يعدّ جبل (أبان) من أشهر جبال العرب، ولا نظير لاسمه المُتفرّد في أيّ بقعة أو مكان خارج جغرافية بلاد العرب، وقد عرفته القبائل ضمن ما يُعرف (ببلاد طيّ) القبيلة اليمنية. ومن غير أدنى شكّ؛ فإنّ وجود الفلسطينيين قرب جبل أبان في فلسطين، كما توحى بذلك القراءة المخيالية الغربية، لا أساس له وهو من تلفيق اليهود الأوروبيين الذين قاموا بتصعيد هذه الصورة النمطية إلى مصاف حقائق التاريخ. والمثير للاهتمام أن أحداً لم يتساءل عن السبب الذي يدعو محرر النص العبري إلى كتابة الاسم على هذا النحو (فلستيم) - بالتاء وليس بحرف الطاء - إذا ما كان يقصد الفلسطينيين، لأن العبرية تعرف حرف الطاء ولا موجب للاستعاضة عنه بحرف التاء؟ أي أن محرر النصّ العبري كان يتوجب عليه كتابة الاسم في صورة (ها - فلسطين) إذا ما كان يقصد الفلسطينيين. كما أن أحداً لم يسأل عن السبب وراء تجاهل الجغرافيين اليونانيين الكلاسيكيين - الذين سجلوا بدقة مُذهلة أسماء الجماعات والشعوب والمواضع في الجزيرة العربية واليمن - لوجود شعب باسم الفلسطينيين قرب أبان، إذا ما وجد مثل هذا الشعب هناك؟ في الواقع لم يعرف العرب ورخالة اليونان وشعراء الجاهلية، جماعة فلسطينية قرب جبل أبان هذا؛ ولكن بالمقابل، سجّل العرب في أشعارهم ومروياتهم اسم شعب عربي وثني قديم عاش بالفعل في المكان نفسه، وعُرف نسبة إلى بيت العبادة الوثنية (فلس). وفي الكتابة اليمنية القديمة يمكن أن يكتب الاسم على هذا النحو: (فلست) مثل (قرشت في قريش) والجمع في العبرية (فلستم). وهذا الرسم يتطابق مع رسم الاسم في التوراة، بما يعني أنها قصدت الجماعة نفسها وليس (الفلسطينيين). يفسر لنا ذلك السبب الحقيقي لرسم الاسم في العبرية بحرف التاء وليس الطاء. لقد تمّت مطابقة مأكرة، ومُماثلةٌ مُحترفة بين الاسمين (فلستم) و(الفلسطينيين) في مكان لا يعرف إلا بيت عبادة وثنيّاً يُدعى فُلَس. والمثير في نطاق هذه المسألة، أن سكان الموضع اشتهروا في المرويات العربية بأنهم من (أكلي السحت) أي الحرام، وكانوا يصطدمون مع الجماعات الموحّدة والمُتدنية في الجاهلية البعيدة على خلفية قيامهم بسرقة المواشي وضمّها إلى بيت الفلس، كما أنهم تصرّفوا كقطاع طُرق في سياق محاولاتهم تأمين النذور والذبائح للمعبد. ترى، لماذا تُطلق التوراة على (فلستم) الصفة العبرية (ها

- مشحت) التي نرى أنها تعني الكلمة العربية ذاتها (السحت) بمعاملة الميم كأداة تعريف منقرضة في لهجات اليمن القديم؟ ومن غير شك؛ فإن هذا اللقب «التحقيري» الذي تطلقه التوراة بحق جماعة وثنية، أمر ينسجم مع تاريخ الحروب والمعارك بين الموحدين والوثنيين. إن هذه المطابقة المُخادعة والتي لا أصل لها في التاريخ، تندرج في سياق السيطرة على السرد التاريخي لأحداث الماضي واستغلالها في الصراع الراهن على الأرض، عبر فرض استمرارية زائفة ومُختلفة لما اعتُبر أحداثاً تاريخية؛ وبحيث تبدو إسرائيل الراهنة استكمالاً معنوياً ما فوق رمزيّاً، مُتخيلاً بكل قوة وزخم التخيل الأدبي لمملكة إسرائيل ولبنى إسرائيل. بينما يبدو الفلسطينيون في الطرف المُقابل، استطراداً رمزيّاً مُقلصاً ومضغوطاً إلى أبعد حدّ في صورة جماعة مغلوبة، مهزومة، جرى دحرها في سفح جبل أبان قبل آلاف السنين. إنهم الفلستيم الذين أمكن انتزاع تابوت الله من بين أيديهم وإزاحتهم عن الأرض الموعودة.

إليكم وصف الهمداني وشهادته الحاسمة عن جبل أبان (صفة: 235 - 236) في معرض وصفه للطريق من جُرش إلى صَعْدَة (وليس جرش الأردن كما نزع الرواية الاستشراقية):

وصف الهمداني لجبل أبان

تخرج من جُرش قصد صَعْدَة على بلد جنب (..) ديار
ربيعة: الذنائب وواردات وذو حُسم (..) وأبان.

هاهنا، بالضبط يقع جبل أبان التوراتي - اليمني على الطريق من سراة جنب. أمّا ابن منظور فيكتب في وصف أبان ما يلي (لسان: 9: 166 - 167):

وصف ابن منظور (لسان العرب)

أبان: أبانان جبلان في البادية أحدهما أسود
والآخر أبيض وبينهما نهر يُقال له الرُّمّة على
مبعدة ثلاثة أميال.

يشير ابن منظور في هذا الوصف إلى وادي الرُّمَّة الشهير، ويستخدم كلمة (نهر) في وصف مياه الوادي على جري عادة العرب، تماماً كما في التوراة. يقع (جبل أبان) في بطن وادي الرُّمَّة، وهو من أعظم الأودية وأكبرها وفيه قالت العرب: (الرمّة: طويل عريض) والطريق منها يفضي إلى صعدة ثم دمار. وذمار هذه، هي التي عُرفت قديماً عند اليمَنِيِّين باسم الأب الأعلى لبعض قبائل اليمن (شدد) بن زرعة بن حمير الأصغر. وبذلك يتضح أن المقصود من رواية سفر صموئيل هو التالي: قامت جماعة وثنية تُدعى ها - فلستيم بنقل تابوت الرّب من (جبل أبان) حيث دارت المعارك مع بني إسرائيل إلى (شدد أو سدد) تماماً كما في النص العبري، وليس إلى أشدود الفلسطينية الساحلية. لقد ترك لنا العرب القدماء سلسلة من الروايات عن معارك طاحنة بين بني إسرائيل وقبائل معدّ، وهي روايات موثقة يصعب التشكيك في صحتها. الأمر الذي يؤكد أن مروية صموئيل هي في سياق مرويات العرب القدماء ولا تشذ عنها. إن الفضاء الجغرافي الذي يجمع كلاً من (جبل أبان وشدد) ليس الفضاء الفلسطيني؛ بل الفضاء الجغرافي لليمن القديم، حيث (سلمى ولبنان ولبنى وشحر) وسائر المنازل الواردة في نصوص يشوع وصموئيل.

قال لبيد واصفاً جبل أبان في بطن وادي الرُّمَّة (انظر ياقوت: 1:82 - وكذلك البكري):

دَرَسَ المنا بمِتاَلَعٍ و(أبان)

فَتَقَادَمَت بِالْحَيْسِ فَالسَّوْبَانِ

وقال امرؤ القيس (المُعَلِّقة والديوان - وانظر شرح المُعَلِّقات السبع للأنباري):

كَأَنَّ أَبَاناً فِي أَفَانِينَ وَبَلِّهِ

كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

هذا التوصيف المُهذَّب والمُدْهَش للجبل والذي قلّما يجد المرء ما يُماثلُه، يشير إلى سموخ الجبل وجماله في لحظة هطول المطر والثلوج في أعلى قمته، حيث يبدو للناظر مثل شيخ مهيب مُزْمَلٍ بكساء بدوي مخطط من أكسية الأعراب. ولنلاحظ هنا استخدام الشاعر للكلمة العبرية - العربية القديمة (بجاد) والتي ترد في التوراة كتوصيف لثياب يوسف (تعني بجد العبرية: ثوب أو رداء مخطط. وحتى اليوم يمكننا ملاحظة أن طقوس الصلاة اليهودية تستلزم وضع الرداء

المخطط). وبالطبع لا تعرف فلسطين التاريخية جبلاً يمثل هذه المهابة وبمثل هذا الاسم. فهل هناك ما يدعو إلى الافتراض أن (جبل أبان) التوراتي قرب (سلمى) هو جبل آخر غير المقصود في أشعار العرب؟ سنقوم بمقاربة أخرى، بين وصف صموئيل للمكان ووصف الإخباريين العرب والشعر الجاهلي، وذلك من أجل إعادة بناء المرويّات التوراتية؛ وبالتالي (إعادة بناء الرواية التاريخية عن معارك بني إسرائيل ضد مَنْ يُزعم أنهم من الفلسطينيين). كما تشير قصص سفر صموئيل إلى أن النبيّ خرج من بيته في (ها - رمة:الرما) ثم توجه نحو جبل (عين - ها - عيزر). ونحن بكل تأكيد لا نعرف (الرما أو الرّمة) هذه قرب (أبان) في فلسطين؟ ولكننا نعرف من وصف الهمداني أن السائر في أرض اليمن من جبل الرماها - رمة يصل وادي أوبن (عين في العبرية). كما نعلم من رواية الأصمعي التي نقلها ياقوت (1:83) أن السائر في بطن وادي الرّمة يصل إلى جبل أبان، إذا ما اتجه صوب صعدة اليمنية. قال ياقوت:

وصف ياقوت الحموي نقلاً عن الأصمعي

قال الأصمعي: وادي الرّمة يمرّ بين أبانين، وهما جبلان، يُقال لأحدهما (أبان الأبيض) - وللآخر - (أبان الأسود) جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان

أمّا جبل ووادي أوبن (وهذا اسم آخر برسم مختلف:ء بن في العبرية) فهو يقع في الجوف اليمني وتسيل مياه واديه إلى نجران على مقربة من جبل (أبان) الشامخ. ولذا؛ فإن إشارة رواية سفر صموئيل إلى جبل (أوبن - ء بن) تحتل فكرة أن المقصود منه (أوبن) في الجوف اليمني، حيث يمكن للسائر فيه أن يبلغ - بسهولة - جبل الرما، كما تحتل فكرة موازية، أنه يقصد (جبل أبان) وكلاهما في فضاء جغرافي واحد. وبذلك يمكن لنا أن نضع في هذا المكان، وليس في أي مكان آخر، كل المعارك التي دارت بين بني إسرائيل و(الفلسطينيين عبّاد إله الفلس وليس الفلسطينيين) حول تابوت العهد. فكيف نظرت القراءة التوراتية الراهنة (الاستشراقية) إلى الفلسطينيين؟ إن فهماً أعمق للصور النمطية في المخيال اليهودي عن الفلسطينيين المعاصرين، يجب أن يلاحظ ما يلي: بما أن إسرائيل الراهنة، هي امتداد تاريخي لما يُزعم أنها (مملكة إسرائيل القديمة في فلسطين) فقد تمّ غرس جذور «اصطناعية» للصراع التاريخي، راحت تضرب عميقاً

في تربة الأحداث التي عاشها شاول وداود والنبي صموئيل، وهو صراع مُستمر لا بسبب مشكلة الاحتلال الراهن وحسب؛ وإنما كذلك بسبب وجود عدو قديم يواصل حربه ضد «ولادة إسرائيل الإلهية» المُقدّسة. إن سفر صموئيل في نطاق هذه الفكرة، نموذجي بالنسبة للمخيل اليهودي الغربي؛ فهو يرسم صورة هذا العدو كما بزغت في عصر شاول، أول ملوك إسرائيل القديمة. ولكن: هل وقعت هذه الأحداث في فلسطين؟ وهل كان العدو هو الفلسطيني نفسه؟ إن تفكيك الجغرافيا الخيالية التي رسمتها القراءة الاستعمارية للتوراة، والكشف عن حقيقة المواضع المذكورة في الأسفار، من شأنه أن يمهد السبيل أمام إعادة بناء الرواية التاريخية. بكلام آخر: يتوجب تفكيك بُنى السيطرة على السرد وتمكين الضحايا من رواية الأحداث بصوتهم لا بصوت جلاديهم. لقد رأينا - ممّا سبق - أن المكان الذي دارت فيه المعارك بين بني إسرائيل (وها - فلستيم) هو جبل أبان، ولذلك لا مناص من رؤيته خارج جغرافية فلسطين. بهذا المعنى تصبح مهمة البحث عن المواضع وتحديدّها بصورة دقيقة من دون أدنى تلاعب لغوي، عملاً حاسماً في نطاق تقديم رواية جديدة لا تستند إلى الافتراضات. لقد نقل لنا رواة الأخبار القدماء، كما سجّلت أشعار العرب، اسم الإله العربي (الفلس) معبود قبيلة طي البدوية. ومن جملة هذه الأخبار نعلم أن بيت العبادة هذا، كان وسط جبل أجأ وقرب سُلمى تماماً؛ وهذا أمرٌ مدهش للغاية لأنه سوف يُساعد في فهم مقاصد النصوص التوراتية من تسجيل اسم الجماعة التي دخل بنو إسرائيل في حروب معها أي الفلس. يقول ابن الكلبي (الأصنام: 59) ما يلي:

وصف ابن الكلبي للفلس (كتاب الأصنام - ص: 59)

كان لطيء صنمٌ يُقال له الفلس وكان أنفاً أحمر في وسط جبلهم أجأ. أسود كأنّه تمثال إنسان وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ويَعْتَرُونَ عنده عتائهم. ولا يأتيه خائف إلاّ آمن عنده ولا يَطْرُد أحد طريدة فيلجأ بها إليه إلاّ تُركت.

إن ملاحظات ابن الكلبي الثمينة والنموذجية إلى أبعد حدّ، ومعرفته المباشرة بالمكان والمعبود والسكان، تزود مُتلقيها بأفكار ضرورية لفهم أفضل وأكثر جذرية عن طبيعة هذه الديانة العتيقة من ديانات العرب، والأهم من ذلك، من أجل فهم أفضل لطبيعة ونمط معتقدات سكان المكان. ولنلاحظ عبارته الدقيقة القائلة: (ولا يأتيه خائف إلاّ آمن عنده) فهذه إشارة صريحة تماماً

إلى شمولية نظام التحريم ورسوخ ثقافة منح الحماية والملجأ لكل مُطارِد. بهذا المعنى؛ فإنَّ الفلس كان هو الآخر (ها - عيزر) أيّ: المكان المانع، المُجبر، مثله مثل جبل أبان وسُلمى. ومن غير شكّ؛ فإنَّ وجود الفلس وسط جبل أجاً يعني أن هذا الجبل عُرفَ باسم المعبود، أي جبل الفلس. ونحن نعلم من التاريخ وعلم الأنساب عند العرب أن القبائل تتسمّى بأسماء آلهتها وآبائها. ولذا، يبدو وجود جماعة قبلية قديمة تدعى الفلس نسبة إلى معبودها وجبلها قرب جبل أبان، تأكيداً لوجود تاريخي حقيقي وليس مجرد افتراض. وفي هذه الحالة سيكون اسم الجمع بالعبرية هو: فلشتيم (هر - فلشتيم: جبل الفلسيّين). إنّ أحداً لا يعرف اسم جماعة قديمة في فلسطين كانت تعبد إلهاً يُدعى فلس، وكانت تعيش قرب جبل أبان؟ بينما نستطيع رؤية المكان والجماعة القبلية بسهولة ودون ما حاجة للتلاعب بالكلمات أو أبنية الأسماء، وذلك حين نفتش جغرافية اليمن القديم والشعر الجاهلي. ونحن نعلم من تاريخ الإسلام المبكر، أن انتصار الإسلام ارتبط على نحو ما، بدحر سكان الفلس - وهم خليط من قبائل العرب - وتدمير بيت عبادته بعد حملة عسكرية ناجحة، قادها خالد بن الوليد في السنة التاسعة للهجرة. بهذا المعنى، يتوجب النظر إلى صراع بني إسرائيل ضد قبائل الفلس على أنّه صراع ديني، نشب في وقت مبكر من ظهور الديانة التوحيدية في بني إسرائيل. لقد كانت قبائل الفلس تمثل مشكلة مُستعصية بالنسبة لسائر القبائل العربية، وليس لبني إسرائيل وحدهم، إذ اتّسم سلوكها بعدوانية فاضحة على أملاك الآخرين، بلغت في أحيان كثيرة حدّ الاستيلاء بالقوة على حيوانات القبائل التي ترعى قرب المكان، وضمّها إلى مُمتلكات بيت الفلس. وعندما هدم خالد بن الوليد بيت الفلس هذا، وجد أنواعاً من السيوف اليمنية الفاخرة في خزائن مليئة بالهدايا الأخرى. تفسّر لنا هذه الوقائع جزءاً من التاريخ المُلتبس والمُتلاعب به، أيّ: واقعة الاستيلاء على تابوت العهد التي سجّلها سفر صموئيل (شموعل). وهذا ما سوف نعالجه بالتفصيل عبر العودة إلى النص العبري الذي سجّل الوقائع وأسماء الأماكن والجماعات المُتحاربة وصفاتها. يقول النصّ العبري (4:13:19:3 - الإصحاح 4)

المقطع في اللغة العبرية

וַיֵּצֵא יִשְׂרָאֵל לַקְרָאת פְּלִשְׁתִּים לַמִּלְחָמָה, וַיַּחֲנוּ עַל-הָאֶבֶן הָעֶזֶר, וּפְלִשְׁתִּים, חָנוּ בְּאֶפֶק וַיַּעֲרְכוּ פְּלִשְׁתִּים לַקְרָאת יִשְׂרָאֵל, וַתִּטֹּשׁ הַמִּלְחָמָה, וַיִּנָּגְףּ יִשְׂרָאֵל, לַפְּנֵי פְּלִשְׁתִּים; וַיִּכּוּ בַמַּעֲרֹכָה בַשָּׂדֶה, כְּאַרְבַּעַת אֲלָפִים אִישׁ.

ويصء - يسرءيل - ل - قرءت - فلشءءيم - ل - ملءمه - ويءنو -
ءء - ءبن - ها - عيزر - وفلشءءيم - ءنو - ب - ءفق.
الءرءمة العربفة
(وءرء بنو إسرائفل وءعوا الفلء للءرب، ثم ءفموا عءء
أوبن العفزار والفلء ءفموا فف أففء)

نعرف من هذا النصّ الواضح والبسيط، أن الجماعتين المُتصادمتين التفتتا بين جبلين، حيث أقامتا مُخيمين حربيّين عند جبل أوبن (وادي أوبن) وفي (أففق). وبكل تأكيد؛ فإنّ جغرافية فلسطين التاريخية لا تعرف مثل هذا المكان، وليس ثمة من دليل جغرافي أو لغوي على وجود (أففق) قرب جبل أوبن في فلسطين. في الواقع يعرف شمال فلسطين التاريخية جبلاً صغيراً يُدعى أفق وليس (أففق) وهو موضع بعيد للغاية عن المسرح الافتراضي للمعارك، فضلاً عن أن فلسطين كلها لا تعرف أوبن أو أبان. وحين اكتشفت القراءة الاستشرافية اسم هذا الجبل، فقد سارعت إلى بناء الرواية التاريخية عن حرب خيالية ضد الفلسطينيين في عصر شاول. وبالطبع في سياق البرهنة على أن مملكة إسرائيل واجهت عند ولادتها الجديدة في العصر الاستعماري، العدو نفسه القديم نفسه. لقد كانت هذه واحدة من اللحظات الفظيعة في التزوير والتلاعب، اتسمت بتجاهل مُتعمّد لكل المواضع الأخرى؛ بل وإسقاطها من الجغرافيا الموصوفة، فلا سُلّمى ولا أبان ولا لُبّان هناك. وإذا ما تقبلنا هذه القراءة لأغراض السجال؛ فإنّ رواية صموئيل ستبدو خيالية، مُتلعثة وعصية على الإفهام، فهي تعرض علينا أسماء لا وجود لها في فلسطين؟ إن إقصاء اسم جبل أوبن من الرواية التاريخية التي سردها الصوت الكولنيالي نيابة عن الفلسطينيين؛ وسلسلة طويلة من أسماء الأماكن الأخرى، يمثل ذروة الخداع والتضليل. إليكم النصّ التالي من سفر صموئيل الأول بترجمته العربية السائدة، ولنلاحظ الصورة النمطية للفلسطيني الذي ظهر في مسرح الحرب:

وكان شاول ويوناتان ابنه ومَن معهما من الشعب، مقيمين في جبع بنيامين. والفلسطينيون مُعسكرين في مكماش. فخرج المُخربون من معسكر الفلسطينيين ثلاث فرق. فاتجهت فرقة إلى عُفرة في أرض شوعل، واتجهت فرقة أخرى نحو بيت حورون واتجهت فرقة أخرى نحو عرس المُشرف على وادي صبوعين ناحية البرية (صموئيل: 13: 8: 23)

ما يقوله هذا النص والنص السابق هو التالي: إن جبل (أوبن وجبل أفيق - مصنعة أفيق عند الهمداني وهي مكان غزير المياه) حيث تجمعت الجيوش المُتَحارِبَة، هما على مقربة من سلسلة من المواضع منها: جبع بن يامن (جبع بنيامين) ومكماش (مكماس) وعُفْرَة من أرض شوعل وبيت حورون وع رس (الرس) ووادي صبوعين (ضباعين عند الهمداني). وكل هذه المواضع لا وجود لها في فلسطين التاريخية كما يعلم اليهود الغربيون والشرقيون. فكيف جرى تخييل رواية صموئيل وتحويل مسار أحداثها بحيث تجري في فلسطين؟ إن سائر المواضع الواردة في نص صموئيل موجودة إلى جوار بعضها البعض، وبالأسماء ذاتها تماماً دون أدنى تلاعب. وهذا واضح من سياق النصّ وتوصيفاته وبشهادة الشعر الجاهلي ووصف الإخباريين العرب ووصف الهمداني كذلك. إن جملة (واتجهت فرقة أخرى نحو ع رس - الرسه) مُصممة لتوصيف وتحديد موضع بعينه يُدعى (الريسه) قرب (جبل الرما). لقد أضاف المترجمون هذا الاسم إلى النص العربي والعبري عن نص يوناني. ولأن محققي التوراة فهموا كلمة (ع رس) على أنها تعني (رأس، قمة) فقد ترجموا الكلمة في صورة (القمة) معتقدين أنّ سارد النص، أراد بالكلمة الإشارة إلى قمة الجبل، وهذا وهم فظيع. وعلى العكس من هذا الاعتقاد الذي لا أساس له سنيين، أن صموئيل كان يشير إلى موضع محدّد هو (الريسه) في مسرح المعارك الدائرة. في الواقع، لا تعرف فلسطين التاريخية مثل هذا الموضع قرب وادي صبعيم (صبوعين) كما لا تعرفه على الطريق إلى (جبل ع بن - أوبن أو جبل أفيق). كل هذا يعني أن القراءة الاستشراقية للتوراة، بنزعتها الاستعمارية لتخييل فلسطين كوطن قديم لبني إسرائيل منذ عصر شاول، إنّما وجدت نفسها أمام مأزق حقيقي لا مخرج منه: فإذا كانت المعارك جرت حقاً ضد الفلسطينيين في فلسطين، فأين يمكن لنا أن نعثر على الرما والريسه وصبوعين وأوبن وأفيق؟ ولذا كان لا بد من تخيل موضع (الريسه) كمجرد توصيف لحدود المسرح الحربي وإهمال بقية المواضع.

يستخدم النص العبري كلمة (مشحت - دون تصويت) وهي لقب تحقيري أضيف على الفلسطينيين الذين حاربوا بني إسرائيل. لكنّ المترجمين اختاروا من القاموس العبري - العربي ويا للغرابة، كلمة (المخربون) كمكافئ لكلمة (مشحت) ولتصبح الجملة على النحو التالي: (واتجهت فرقة من المخربين الفلسطينيين). وهكذا، فقد أصبح لدينا «مخربين» من عصر شاول. إن هذا النعت المُشبع بالمقت الغريزي وبالكراهية العنصرية التي لا تصدق؛ هو في القلب من عمل هادف إلى مُماثلة الصور ودمجها، بحيث تتماهى صورة المخرب الفلسطيني المعاصر مع صورة نظيره وجده

الأعلى «المخرب الفلسطيني في عصر شاول». هذا المخرب هو الذي سرق في الماضي تابوت العهد، وحارب مملكة إسرائيل القديمة.

إنه بالنسبة للمخيل اليهودي الأوروبي الغربي ثم الأمريكي، مُخَرَّب بالفطرة، مزعج وخطير منذ أن تصادم شاول ملك إسرائيل الأول معه، وهو يواصل لعب هذا الدور الوحيد الذي انتدبه التاريخ للقيام به إلى ما لا نهاية. وكما أن لإسرائيل في هذه المُطابقات العشوائية والتعسفية امتداداً نزيهاً وبطولياً في الماضي البعيد والمُتخيل؛ فإنَّ للفلسطينيين كذلك، امتداداً مماثلاً، ولكن كجماعة إرهابية تخريبية عدوانية وغير نزيهة، وغير بطولية وقابلة بسبب طبيعتها التخريبية المُتأصلة في نفسها، لأن تنقسم إلى ثلاث «مجموعات تخريبية» أو أكثر تماماً كما هو الحال اليوم. إن هذه الصور الاستشراقية بامتياز، مأخوذة من الصورة النمطية في المخيل اليهودي الأوروبي الغربي - الأمريكي المعاصر، ونظرته العنصرية للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. ولذلك فإنَّ العودة إلى النص العبري سوف تكشف عن هذا البُعد الاستعماري في القراءة الغربية للتوراة، إذ لا وجود للفلسطينيين ولا وجود للمُخربين في عصر شاول، والرواية التي يسجلها صموئيل، برمتها لا علاقة لفلسطين بها. ومن المؤكد أن التعبير التحقيري (مشحت بمعنى آكلي السحت) الذي يُطلقه صموئيل على قبائل الفلس - الفلس (ها - مشخت) يشير إلى الحقيقة التاريخية المؤكدة التالية: إن بني إسرائيل كجماعة دينية موحدة، عرفت قبائل العرب قديماً في السراة اليمنية؛ ثم مجدها القرآن الكريم وأحاطها المسلمون حتى اليوم، بنظرات التمجيد والقدسية، هي جماعة لم تعترف بالأصنام قط، وقاومت عبادتها منذ عصر الأب الأعلى إبراهيم، والدها ووالد كل العرب ومؤسس أولى الديانات التوحيدية في الجزيرة العربية وباني الكعبة. لقد كانت تنظر إلى عبادة الأصنام نظرة احتقار وازدراء، ودخلت في معارك وحروب دامية ضدهم. وهذه المعارك يصفها السفر التوراتي بدقة، ونرى أنها تندرج في إطار حروب دينية الطابع ضد الجماعات الوثنية. ولأن الفلس كانوا أصحاب بيت عبادة وثنية، تهفو إليه قلوب قبائل وثنية كثيرة حتى أصبح من أكثر أماكن العبادة القديمة حضوراً في الحياة اليومية للجماعات القبلية؛ فقد عملوا على فرض سيطرتهم ونفوذهم انطلاقاً من سيطرتهم على المكان المقدس هذا. وفي سياق فرض النفوذ قام سدنة بيت (الفلس) بسنّ شرعة غريبة تبيح لهم حق الاستيلاء على حيوانات القبائل وممتلكاتها بالقوة وضمّها إلى بيت العبادة. ولذلك عرف سدنة بيت الفلس عند العرب العربية بأنهم من (آكلي السحت). كانت هذه الشرعة الدينية حسب أخبار ابن الكلبي في (الأصنام) مصدر التوتر الرئيسي بين القبائل، وبعضها لم يُخفِ مشاعر

الاحتقار للسنة (الكهنة) وكانوا ينعنونهم على الدوام بالنعنة ذاته الذي يستخدمه صموئيل: (السُّحْت
أكلي الحرام). وهذا هو المعنى الحقيقي للكلمة العبرية (ها - مشحيت) التي فهمها المخيال الغربي
الاستعماري على أنها تعني (المخربون). إن أحداث السِّفر التوراتي تدور في جغرافيا مُحدّدة،
وأطرافها من الجماعات التي يمكن التعرّف إليها في نطاق هذه الجغرافيا. فهل يعرف التاريخ
الفلسطيني القديم مثل هذه الجماعات؟

الفصل الخامس

أورشليم الرومانية في «بلاد اليهودية القديمة»

لا يتردد كتاب التاريخ في الغرب الأوروبي (وعلى خطاهم كثير من الباحثين المسلمين والعرب) عند الحديث حول التاريخ الروماني بفلسطين في التأكيد دون أدنى دليل علمي واحد على أن أحداث رواية ما يدعى «سفر المكابيين» دارت في فلسطين التاريخية. وبصدد هذا الزعم؛ فإن لمن المثير للاهتمام حقاً، ملاحظة أن ما جاء فيه، وبالرغم من عدم وجود اعتراف رسمي بالنص، غالباً ما تم اعتماده كوثيقة تاريخية تخص أورشليم العصر الروماني. فهل جرت، حقاً أحداث السفر في فلسطين؟ وما الدليل على ذلك؟ ومتى ظهرت أورشليم الرومانية في فلسطين؟ سوف نجادل حول هذه النقطة من أجل البرهنة على الحقيقة التالية: إن أورشليم الرومانية لم تظهر إلى الوجود إلا بعد 130 ق.م وليس قبل هذا التاريخ، وبالتالي؛ فإن الرواية التي سجلها الأحبار وكهنة من يهود اليمن، للحروب المتواصلة بين بلاد اليهودية والرومان لا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بتاريخ فلسطين. ولذلك، يتوجب إسقاط هذه الحقبة من التاريخ الفلسطيني نهائياً، للأسباب التي سوف نسوقها. وأنا هنا إذً أروي هذا التاريخ التوراتي كما دونه اللاهوتيون واستخدمه المؤرخون المعاصرون بمن فيهم العرب؛ فإنني أقدم بذلك عرضاً موضوعياً للقراء لا أكثر. ومع أنني أشك في صحة وقائع هذا التاريخ، لكنني مع ذلك أقوم - وللأمانة العلمية - بإعادة سرده لأجل أن يطلع القراء على نوع وطبيعة التزييف والتناقضات التي تثيرها هذه الرواية.

هل ظهرت «بلاد اليهودية» في فلسطين خلال العصر الروماني؟

قبل تقديم جواب قاطع بنعم أو لا، دعونا نتساءل: ومن هو يهوذا المكابي بطل أحداث هذه الرواية والذي كان ملكاً في بلاد اليهودية عام 166 - 160 ق.م؟ ومن أين جاء «لقبه» هذا؟ ولماذا

لم تذكره كتابات اليونانيين والرومان ضمن تاريخ فلسطين؟ ومن هم «الحسيديون» الذين تحدثت نصوص التوراة عن تمردهم في اورشليم على سلطة الحاكم الروماني؟ ومن هم «الحشمونيون» خصومهم الذين صورت التوراة سلسلة من معاركهم كما صورت المعارك والحملات الحربية الرومانية ضدهم في «بلاد اليهودية» المدعى أنها شمال فلسطين (الضفة الغربية)؟ وأين وقعت الصدامات والمعارك العنيفة ضد هؤلاء ابتداء من العام 198 ق.م؟ إن المساهمة العلمية في تصحيح تاريخ فلسطين القديم، وتخليصه من الهرطقات والأحداث الاستشراقية الزائفة، يصبح اليوم واجباً أخلاقياً، يتوجب توسيع نطاق الاهتمام به، ذلك أن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتحقق من دون تحرير صورتها التاريخية من الأوهام والمختلقات الأوروبية. إن التوراة تفرد لواحدة من هذه المعارك، حيّزاً معقولاً تسرد فيه جانباً من الظروف والبواعث التي دفعت بالحسيديين، وهم فرقة دينية يهودية مُتشددة إلى التعاون مع خصومهم «المكابيين» أتباع يهوذا المكابي من أجل مواجهة الرومان. ولأن هذه الرواية تعرضت لتخيل فظيع، وبحيث إنها عدت جزءاً من تاريخ فلسطين القديم، فقد توجب علينا إعادة بناء الرواية التاريخية، والتدقيق في مسرحها وأحداثها. ولذلك يتوجب القول أن الحملة الحربية الرومانية، بدأت - من المنظور التاريخي الصحيح للأحداث التي ترويها التوراة - على بلاد اليهودية، وليس على فلسطين، وبالتالي؛ فإن نص السفر لا يذكر قط اسم فلسطين أو الفلسطينيين، وهذا أمر مثير للاهتمام ولا يتناسب مع كل ما قيل عن أن التوراة ذكرت فلسطين والفلسطينيين في عصر شاول وداود، فيما هي تغفل ذكرهم في عصر يهوذا المكابي؟ فهل تلاشى شعب فلسطين وغاب كلياً عن مسرح الحروب الرومانية - اليهودية، إذا ما افترضنا أن هذه الحروب وقعت في فلسطين؟ فكيف يجوز تقبل فكرة أن التوراة سجلت اسم شعب فلسطين واسم بلادهم في عصر داود نحو 930 ق.م، بينما تصمت عن ذكرهم في عصر قريب من المسيحية نحو عام 130 ق.م؟ لا يبدو ذلك منطقياً أو معقولاً بأي شكل من الأشكال.

إن مسرح المعارك، وكما يتبين من نص سفر المكابين كان في بلاد اليهودية القديمة وليس في فلسطين. وبالطبع، فقد افترض المستشرقون أن المقصود من اسم هذه البلاد «فلسطين»، وهذا ما لا دليل عليه؛ بل إن التاريخ القديم يكذب جملة وتفصيلاً مثل هذا الزعم. إن أحداً في العالم كله، لا يملك اليوم ولا بالأمس البعيد، أي دليل يستند إلى سجل أو أثر أو نقش، يؤكد أو يلمح مجرد تلميح إلى أن المقصود من بلاد اليهودية فلسطين، أو أن تكون بلاد اليهودية ظهرت في أرض فلسطين. ومن المنظور التاريخي ذاته، فقد جرت الحملة بعد استيلاء أنطيوخوس على مصر مباشرة، حيث

تمكن بعد سنتين فقط من دخول أورشليم، لكن، أي أورشليم؟ وهل كانت تدعى القدس؟ وهل كانت أورشليم هذه في فلسطين؟ وهل حدث التمرد على الرومان، أو ما يسمى في الموارد التاريخية الأوروبية والغربية عموماً بـ«ثورة اليهود على الرومان» في فلسطين؟ ما تقوله الرواية هو الآتي: إن يهوذا المكابي، وبعد نحو اثنين وثلاثين عاماً من بداية الحملة الرومانية التي انتهت باحتلال أورشليم، أصبح ملكاً على «بلاد اليهودية» أي في العام 166 ق.م. ومع صعود يهوذا بدأت منذئذٍ، سلسلة جديدة من المعارك والصدامات الدامية بين اليهود والرومان. والسؤال المنطقي الذي يجب أن يطرح على علماء التاريخ: ومن هم هؤلاء اليهود؟ من أين جاؤوا، ولماذا اصطدموا بالإمبراطورية الرومانية؟ وإذا كان اصطدموا بها في فلسطين، فلماذا لا تذكر السجلات الرومانية الموثقة أي شيء عن هذه المعارك؟ ولماذا لا تقول - هذه السجلات - أن الرومان استولوا على أورشليم أو القدس في فلسطين خلال هذه الحملة؟ دعونا نعيد بناء الرواية التوراتية لتخليصها من المخيال الاستشراقي السقيم الذي قرئت به.

تقول التوراة أن يهوذا المكابي ولد في موضع يدعى «مدان» - بكسر الحرف الأول - لأب كاهن يُدعى متنيه بن يوحنا بن سمعان، وأنه من قبيلة «بني يريب»، وأنه عندما أصبح ملكاً في «اليهودية» واجه أكبر حملة عسكرية رومانية، كان قائدها المباشر أبلونيوس حاكم مقاطعة «السمرا» - وليس السامرة كما تزعم القراءة الاستشراقية -؛ حيث اصطدموا في معركة وادي حورون. تمكن يهوذا في هذه المعركة المبكرة من حياته كملك قبائلي حازم، من إلحاق هزيمة قاسية بالقائد الروماني الذي فرّ من ساحة المعركة مع رجاله باتجاه الساحل. في هذا الوقت كان أنطيوخوس يستعدّ لتجهيز حملة كبرى على فارس نتيجة لإفلاس الإمبراطورية الرومانية، وحاجتها إلى خوض حروب جديدة من أجل النهب. اتجه أنطيوخوس من مصر نحو بلاد الشام، وتوقف في أنطاكية التي اتخذها عاصمة له. ثم أصدر أوامره بتعيين بطليموس (قائد إقليم سورية وفينيقيا) وجرجياس أحد أبرز ضباطه، قائدين للحملة على فارس؛ ولذا قام القائدان فور صدور الأمر لهما، بتجنيد مرتزقة من القبائل الموالية للرومان. ومن بين هذه القبائل التي تم تجنيدها لمهاجمة فارس قبيلة تدعى في التوراة باسم واضح وصريح هو بنو إسرائيل.

كان التجنيد يجري بوسائل قسرية وبأساليب فظة ومهينة. ومع ذلك سارعت بعض الجماعات تحت التهديد إلى إرسال فرسانها، انطلاقاً من مكان يدعى «أدم». أدّت هذه الإجراءات بيهوذا المكابي ملك بلاد اليهودية إلى الصدام مع جرجيوس لمنع عمليات التجنيد القسرية هذه.

وهكذا، وإبان التحضيرات لغزو فارس في حملة عام 166 ق.م، اشتبك الرومان مع يهوذا المكابي في معركة «عمّوأس». ثم وقعت - تالياً - معركة أخرى في موضع يدعى «جازر» وفي «نجد أدم». والنجد هو المرتفع من الأرض. كما جرت معركة أخرى في «يمنيه - منيه» - والياء حرف لاصق مثل يعرب في عرب، ويكرب في كرب وهذه لغة يمنية -، في الواقع كان هناك باعثن قويان بالنسبة ليهوذا المكابي للاحتجاج على زج بني إسرائيل وبلاد اليهودية في الحرب ضد فارس، الأول، له صلة بما يمكن اعتباره نوعاً من الوفاء لذكرى تحرير اليهود من الأسر البابلي بعد مرسوم قورش. وبالطبع، فلم يكن يهوذا المكابي أو سواه من ملوك بلاد اليهودية، وبسبب قوة هذا الباعث الأخلاقي، قادراً بأي صورة من الصور على الانخراط في حرب ضد فارس. أما الثاني، فكانت له صلة بالروح الاستقلالية للملك العربي اليهودي الجديد. وفي العام التالي؛ وعندما كانت العلاقات السياسية بين الرومان و«بلاد اليهودية» تتدهور بسرعة، وتلوح في الأفق بوادر معارك ضارية جديدة، بدا لكل القبائل في نجد والبادية وفي عموم المنطقة، أن الرومان كانوا يسرعون الخطى باتجاه الحرب مع فارس، ويقومون لهذا الغرض بتجميع قواتهم ويضعونها تحت إمرة ليسيّاس، وفي الآن ذاته كانوا يحشدون قوات أخرى قوامها 60 ألف جندي مهمتها الوحيدة وضع حدّ لتمرّد المشيخة القبلية التي كانت تدعى بلاد اليهودية. وهكذا اندلعت المواجهة الدامية بين بلاد اليهودية والرومان من جديد. وخلال أولى المعارك نجح الرومان في التّقدم نحو «بيت صور» لتعسكر قواتهم هناك؛ وهو ما عدّه يهوذا المكابي إنذاراً باجتياح وشيك لبلاده. وفي هذا الوقت ومع تزايد الحشود الرومانية، قرّر أن يعتصم، هو ورجاله في جبل حصين يدعى جبل صهيون (صيون وصهيون في الطبقات العربية من التوراة) تفادياً لهزيمة منكرة. ومع ذلك نشبت قرب صور (بيت صور) معركة أخرى أقلّ ضراوة. كان يهوذا عازماً رغم متاعبه مع الرومان، على فرض نفوذه السياسي والديني في بلاد اليهودية؛ بل ومدّ هذا النفوذ إلى أراضٍ جديدة، يقطنها أبناء عمومته وخصومه القدماء «بنو عيصو» في جبل «أدم». ولذا هاجم موضعاً لهم يدعى «عقربتين - من الاسم قرب والتاء والنون لاصقتان وليستا من أصله: القرب». كما هاجم جماعات بدوية من السّراق واللصوص في محيط منطقة «بَيْن» فأخضعهم لسلطانه. وأخيراً سار بقواته نحو مضارب بني عمون. ولسوء طالع يهوذه، فقد صادفه في طريق حملته على بني عمون، جيش كبير بقيادة القائد الروماني طيموتوس. لكن الظروف المناخية وطبيعة المعركة ساعدتاه هذه المرة على تخطي عقبة الهزيمة المنكرة أمام القوات الرومانية؛ إذ تمكن من إلحاق الهزيمة بالقائد الروماني المحلي ولیدخل

منتصراً إلى مكان يدعى «يعزور - عزور»، ثم ليقتم توابعه من الغزلات والقرى الصغيرة. وعلى الفور تناهى خبر انتصار يهوذه إلى أسماع القبائل العربية اليهودية التي هُلل بعضها لاندحار الرومان؛ فيما فرّت بعض القبائل المتواطئة معهم إلى موضع يسمى «دي تما - ذي تمه»، خوفاً من انتقام المكابيين.

في هذه الأوقات تلقى يهوذه المكابي وأشقائه، كتاباً من بعض القبائل العربية المتورطة في تحالفات عسكرية مع الرومان، تبدي فيه استعدادها في ضوء الانتصارات المُنتالية للتعاون معهم على دحر القائد المحلي طيموتوس نهائياً، وربما طرده من إقليم السمرا - السمراء التي حوّلها الرومان قاعدة سياسية وإدارية وعسكرية في قلب الجزيرة العربية. كما ضمن يهوذا في سياق هذه التطورات انحياز قبائل حليفة له، كانت تُقيم في «طبوت - طبوت» القريبة من مسرح الحرب. وبعد هذه الأحداث بوقت قصير، قرّر - وفي إطار سياسة جديدة - القيام بسلسلة من الحملات العسكرية لطردهم من الولاية الرومانية الذين عيّنتهم روما كحكام على الأقاليم والمقاطعات العربية؛ فتمّ له تجهيز حملة على منطقة تدعى «الجليل» لطردهم من الولاية الرومانية منها، وأوكل لشقيقه سمعان مهمة قيادة القبائل في معركة فاصلة لهذا الغرض، بينما اختار السير بنفسه نحو موضع جبلي وعر يدعى «جلعد». وبينما كان يهوذه المكابي وشقيقه الأصغر يوناتان، يعبران وادياً يسمى في العبرية «ها - يردن» وبعد ثلاثة أيام من المسير في وادٍ يدعى «العربة 7777»، سمعا من القبائل البدوية المرتحلة في المنطقة، أن الرومان دمّروا مضارب «بُصرة» و«باصر» وأنهم دخلوا موضعاً يدعى «علم»، وآخر يسمى «كشور» كما استولوا على «مقيده» و«قرنئيم - القرن»، وأنّ القبائل الموالية لهم هناك، باتت مُحاصرة. أجبر هذا التطور المفاجئ، يهوذه المكابي على تغيير وجهته، وربما إحداث تعديل جوهري على كامل خطته الحربية، وبالفعل، اتجه بقواته بدلاً من «جبل جلعد» إلى «باصر» التي تمكن من دخولها بسرعة، ليتفرغ لطردهم من موضع يسمى «حيلم - حلمه». بيد أنّ القائد الروماني المحلي طيموتوس فاجأه بجيش كبير تمّ تجميعه في «رفون» وفي وادي «العُبر». وهكذا، كان على يهوذه المكابي الدخول في معركة ضارية جديدة سوف تمكنه، كما تقول لنا الرواية التوراتية، من تحقيق انتصار لامع في وادي «سيان»؛ بل والصعود منه إلى جبل «صيون - صهيون» مبتهجاً بإمكانية حرمان الغزاة من فرصة الاستيلاء على أورشليم. ويبدو أن وهج الانتصارات اللامعة والمنتالية التي حققها يهوذه المكابي وأشقائه من قادة الجيوش، أغرى بعض القادة الصغار في جيشه على مواصلة المعارك لتحقيق انتصارات أخرى سهلة على الولاية

الرومان، وهذا ما يُدلل عليه قيام هؤلاء بالتحرك صوب إقليم مجاور لجبل صهيون يسمى «يمنيه - منيه» وهو من السهول الخصبة. بيد أن هؤلاء سرعان ما واجهوا هزيمة ماحقة هناك على يد الرومان المُتحفزين. وفي وقتٍ تالٍ من هذه الأحداث، زحف على منطقة جبلية تدعى «جنب - سرة جنب» - وفي العبرية: ها - نجب، ثم «حبرون» فاجتاز موضعاً يسمى «مريشه» قبل أن يصل إلى موضع «ء شدد». وكانت إحدى أهم معاركه في هذا الوقت، قد وقعت في مكان يدعى «كفر سلمة» وآخر يسمى «بثروت - بثرة»، إذ أمكن مطاردة القوات الرومانية هناك حتى وادي «حصور - حضور». لكن، بين أعوام 160 - 143 ق.م وبعد وفاة يهوذا المكابي، صعد إلى عرش بلاد اليهودية شقيقه يوناتان. كان على الملك الجديد أن يواصل السياسة ذاتها: طرد الولاة الرومان من المنطقة. فكانت أولى المعارك التي وقعت في عهد الملك الجديد، معركة «نجد تقوع». لقد بدا يوناتان، في سبيل خوض معركة كبرى جديدة وناجحة، بحاجة ماسة لمساعدة القبائل العربية المقيمة في وادٍ يُدعى «ء نبطه». ولذا أرسل على وجه السرعة شقيقه يوحنا، رسولاً إلى هذه القبائل لضمان إسنادها ودعمها.

بيد أن القبائل البدوية في «ء نبطه»، وبدلاً من تقديم المساعدة للملك الجديد، قامت باغتيال رسول الملك وشقيقه في معركة مفاجئة عند وادي «مدبء». سمع الرومان بأنباء هذه المعارك المفاجئة بين القبائل وبمصرع رسول الملك؛ ولذا زحفوا نحو وادي «ها - يردن» لتطويق المشتبكين وتدميرهم. وهكذا وقعت معركة جديدة كبرى ضد الرومان في مكان يدعى «الغوص». بيد أن يوناتان ورجاله، أفلتوا من الكمين الروماني وفرّوا من الوادي. في النهاية، زحفت القوات الرومانية في إثر الفارين، ودخلت منطقة جبلية وعرة تسمى «عمواس - أعماس» ووادي «بيت حورون» و«ءيل - الإل» و«تمنية»، كما حاصرت جبل «ثفون - ثفن» ووادي «بيت بيبص - بيبص». وفي وقت تالٍ، وفي سياق هذه الصدامات الدامية، أخفق الرومان في معركة جرت عند مرج «مكمس - الكامس».

لكن، ومع صعود بطليموس الرابع في مصر وتوليهِ العرش، بدأت تطفو على السطح علامات جديدة على إمكانية عقد معاهدة صلح بين الرومان وبلاد اليهودية. وبالفعل، جرى إبرام المعاهدة الجديدة قرب مكان يسمى «يفو - يفاء». وبموجب معاهدة الصلح تسلم يوناتان مقاطعتي «أفرمه» و«لده - لذة» من الإدارة الرومانية، بالإضافة إلى «الرمثيم - الرمة» التي ضُمَّت إلى بلاد اليهودية. وفي أعوام 143 - 134 ق.م صعد نجمُ الشقيق الأصغر: سمعان كقائد لجيش

اليهودية. لكن صعوده هذا جاء في وقتٍ عادت فيه العلاقات مع روما إلى التدهور. ومع أولى المعارك في هذه الحقبة وقع يوناتان الملك أسيراً في يد الرومان. كانت مهمة القائد الجديد سمعان تحرير شقيقه الملك من الأسر. ولذا اتجه بقواته نحو «حدد» حيث أقام هناك معسكراً اتخذته لغرض إطلاق عملية تفاوض صعبة ومُعقدة. ويبدو أن المفاوضات منيت بنكسة خطيرة وغير متوقعة، فقد هاجم الرومان منطقة «ء دورة - الدارة» بينما كانت الثلوج تغطي جبل «سقم» (في النص العبري: ب - سكمه، أي بحرف الجر - ب :- في سكمه أو سقمه. أما في الترجمة العربية فاعتبر حرف الجر من أصل الاسم). واعتباراً من هذا الوقت، غاصت الإمبراطورية الرومانية بمشاكلها الداخلية العويصة وبحروبها مع فارس، بينما نعمت بلاد اليهودية في سلام طوال هذه الحقبة. ثم تختتم التوراة روايتها لهذه الحقبة من تاريخ المعارك مع الرومان، بالقول أن سمعان توفي وتمّ دفنه في حصن دوق.

كيف نروي الرواية بصوتنا لا بصوت الآخر؟

هذه هي - بإيجاز شديد - أهم الأحداث التي وقعت في ما يُدعى «بلاد اليهودية» التي يُزعم من جانب كتاب التاريخ التوراتي، أنها وجدت في شمال فلسطين؟ وفي التراث الكتابي تدعى الضفة الغربية وغزة باسم بلاد «يهودا والسامرة» استناداً إلى ما ورد في سفر المكابيين. لقد قُدر لهذه الأحداث أن تُروى مرتين، مرة بصوت كاتب «سفر المكابيين» ومرة أخرى بصوت أوروبي - استعماري لا يعرف أيّ شيء عن جغرافية الرواية التوراتية. وفي هذا الإطار، فليس أمراً مفاجئاً أن نلاحظ التناقض الصارخ في ما يقوله الصوتان، كل بحسب منطق وطريقة سرده وحتى شكل نطقه للأسماء. بيد أن الأمر المحزن بالنسبة لي - في هذا التناقض - أن كثرة من الكتاب المعاصرين وفي روايتهم للحقبة الرومانية من التاريخ الفلسطيني، لا يملكون من الوثائق العلمية سوى القليل، ولذا فهم في الغالب الأعم يستندون إلى هذا السفر كما تم تأويله من جانب الاستشراقيين

والتوراتيين المتعصبين. ولا يكاد يوجد اليوم، في حوزة الرواة المعاصرين وكتّابها، وثيقة أخرى موازية أكثر دقة أو موضوعية. والمثير للاهتمام أن هيرودوت (نحو 450 ق. م) لا يذكر، في تاريخه، أيّ شيء عن «بلاد اليهودية» هذه في فلسطين، مع أن الفاصل الزمني بين عصر هيرودوت وأحداث السفر، تجعل من الصعب تصور أن المؤرخ اليوناني تجاهل وجود بلاد اليهودية في فلسطين (نحو 200 عام فقط)؟ وإذا كانت مملكة اليهودية قائمة قبل المرحلة السلوقية، فمن غير

المفهوم تغاضي المؤرخين والجغرافيين عن الإشارة إليها، مع أنهم كتبوا عن تلك الحقبة ووصفوا بدقة جغرافية متناهية كل جزء من المنطقة؟ فأين يجب أن نضع هذا المقطع من التاريخ الروماني؟ هل نضعه ضمن التاريخ الفلسطيني وعلى أي أساس؟ وهل هناك ما يُثبت أن مسرح المعارك هو مسرح فلسطيني؟ وإذا كانت المواضع الواردة في هذا النص، هي مواضع وأماكن وجدت ذات يوم في فلسطين، وأن المعارك ضد الرومان جرت هناك بالفعل؛ فلماذا صمتت النقوش والسجلات الرومانية عن ذكر أي شيء عنها؟ وأخيراً: لماذا لا نجد في جغرافية فلسطين أي موضع من المواضع المذكورة، مع أن التاريخ المحتمل لاندثارها يبدو مُلتبساً ومتناقضاً مع فرضيات العثور على مواضع أقدم ذكرتها التوراة؟ فإذا كان ممكناً الادعاء أن علماء التوراة عثروا على أسماء مواضع من عصر موسى قبل خمسة آلاف عام ق.م (في فلسطين) ومن عصر (سليمان 1920 ق م) فمن باب أولى أن يعثروا على أسماء مواضع تعود إلى عصر قريب جداً (نحو العام 160 ق.م)؟ سنقوم، في إطار رواية جديدة لهذه الحقبة، ولأجل وضعها ضمن التاريخ الحقيقي، وهو تاريخ الحملات الحربية اليونانية - الرومانية ثم البيزنطية على الجزيرة العربية واليمن وعلى ساحل البحر الأحمر، لإخضاعه والسيطرة عليه وليس من أجل السيطرة على فلسطين؛ بالخطوات التالية:

أولاً: سنقوم بإعداد قائمة بأسماء المواضع الواردة في النص، ومقاربتها مع الأسماء الواردة في قائمة الهمداني في كتابه الشهير «صفة جزيرة العرب».

ثانياً: سوف ننشئ مقارنة جديدة بين الرواية التوراتية، ونصوص ابن العبري عن يهوذا المكابي و«بلاد اليهودية».

ثالثاً: كما سنقدم مقارنة موازية للوصف التوراتي لبلاد اليهودية، مع وصف الجغرافي اليوناني بطليموس الذي نقل الهمداني شهادته لنا.

رابعاً: كما سنقوم - في سياق هذه المقاربات - بتحديد المقصود من اسم المكان الذي أعطى ليهوذا لقبه الذي عُرف به: (المكابي) ونقوم - استطراداً - بإعادة تنسيب «الحسيديين والحشمونيين» وتأويل حملهما لهذين اللقبين الدينيين.

مدخل إلى «تصحيح التاريخ الفلسطيني القديم»

ابتداءً، يتعيّن التأكيد، أننا لا نلجأ إلى لعبة المقاربة اللغوية بين أسماء المواضع، ولن نلجأ إليها تحت أي ظرف. كل ما في الأمر، أننا نجادل روايات الاستشراقين من منظور تاريخي، وهذا يتطلب منا استخدام وثيقة تاريخية وجغرافية عظيمة تركها لنا الهمداني مؤرخ اليمن، قصد البرهنة على أن الهمداني وصف المسرح نفسه لهذه الأحداث، بوصفه مسرحاً عربياً في قلب الجزيرة العربية (جنوب وجنوب غرب) وليس في فلسطين. كما سندعم هذه الشهادة بما تركه لنا الشعر الجاهلي من وصف دقيق للأماكن والمواضع الواردة في التوراة، وبنفس الصيغ دون أدنى تلاعب لغوي. كما يتوجب الأخذ بنظر الاعتبار الحقيقية المذهلة التالية: إن فلسطين التاريخية لا تعرف في أي وقت من تاريخها القديم، أي اسم من الأسماء الواردة في هذا السفر لا في صورة جماعات من القبائل، ولا في صورة أماكن أو قرى، ولذلك تجاهلها اليهود واعتبروها نموذجاً دالاً على «جهل كاتب السفر» بجغرافية فلسطين؟ وباستثناء أسماء بعض القرى الصغيرة مثل (قرية علما في قضاء صفد) التي يزعم أنها هي ذاتها «علم» الواردة في التوراة؛ فإن لا دليل على وجود أي تشابه أو تماثل بين الأسماء الواردة في التوراة وجغرافية فلسطين. هذه الملاحظات ضرورية وحاسمة لجهة تفهم النظرية التي يطرحها هذا المؤلف الصغير بصورة صحيحة، خالية من الأحكام المسبقة والمتعجلة.

إن تصحيح تاريخ فلسطين القديم، يستحق من الباحثين العرب، القيام بمغامرات علمية جريئة من هذا النوع في سياق تحدي رواية الغرب الاستعماري ودحضها من أساسها. ولنبدأ من النقطة الأخيرة: إن الاسم التوراتي «مكابين - مكابين»، لا وجود له شمالي فلسطين كاسم لموضع بعينه مهما فتشنا هناك، بينما يمكن لنا أن نجده بسهولة في الامتداد الجبلي لمنطقة اليمامة ومرتفعاتها في صورة (كاب). وفي اللهجة اليمنية (مكاب، مثل: كمس: مكمس، نوب: منوب). وهذا الموضع يقع ضمن جغرافية اليمن القديم وفي نجدها (مرتفعاتها) كما وصفها الهمداني. وعلى مقربة من «كاب» هناك موضع (مدان - مدان في النص العبري) التي ولد فيها يهوذا - هؤذا لأسرة كاهن من كهان نجد اليمامة الممتد باتجاه اليمن، يُدعى متتا من بني يريب - ريب. والياء في الأسماء من الحروف اللاصقة كما قلنا وهي لهجة يمنية، استخدمت كأداة تعريف منقرضة (الريب). وليس هؤلاء، بطبيعة الحال وكما يشي اسمهم، سوى قبيلة بني الريب - ولنتذكر اسم أشهر شعراء هذه القبيلة الشاعر الجاهلي مالك بن الريب -. والمثير للفضول أن هذه القبيلة تقيم على مقربة من الجليل - الجليل في النص العبري؛ بل وقرب موضع حدد - حدد الذي دارت فيه إحدى أهم المعارك ضد الرومان في

قلب الجزيرة العربية. وأخيراً وليس آخراً، أن بني الريب يقيمون على مقربة تماماً من موضع ء نبطه - ء نبطه. وهذا ما يفسر لنا سبب طلب المساعدة منهم في مواجهة الرومان الزاحفين. ولسوف نرى هذا المغزى عندما يقوم يوناتان بالانتقام من بني يمرء - المرء لقتلهم شقيقه يوحنا، حين أرسله لطلب المساعدة في مواجهة الرومان. هذا فضلاً عن أن كاب - الكاب ليست بعيدة عن بيت ء يل - الإل التي جرت فيها معركة أخرى. وسيكون أمراً مدهشاً عندما نعلم أن سائر هذه الأماكن هي في الفضاء الجغرافي ذاته لموضع حسم - حشم الذي جاء منه اسم النسبة الحسمونيون - الحشمونيون.

هاكم على سبيل المثال وحسب، وصف الهمداني (صفة: 295 - 296) لهذه المواضع كما وردت في السفر التوراتي - ودون أي تلاعب لغوي من جانبنا :-

(من اليمامة إلى نجد: حرص وعمير والغمر وغمر ذي كندة والسرّ وعاكل وبه قبر الحارث الملك، والكاب، ووادي قاعة من أرض تميم «....» وأدم بديار مُزينة - وأدم بالسحول - جبالن، وذو الجليل من مواضع الوحش «....» ثم الغميصاء لكنانة في تهامة الحجاز، وحدد أرض لكلب وحسم ويُقال - له - ذو حسم والإل جبل وأنبطه وهي - من - مواضع الوحش) - انتهى النص -

هذا هو الفضاء الجغرافي المتكامل لمسرح الحرب وللمنازل القبلية التي وصفها التوراة، منزلاً إثر منزل، وحيث عاشت هناك كل الجماعات المذكورة: ها هنا الكاب - مكاب (وفي لهجات اليمن غالباً ما تلتصق الميم في أول الاسم باعتبارها أداة تعريف منقرضة مثل عم - سفر في السفر كما في كلام الحميريين) وها هنا جبل أدم في نجد اليمن الذي هاجمه يهوذه - هوذه لفرض نفوذه على أبناء عمومته من بني العيص - عيصو، وعلى قربة منه وادي الجليل - الجليل، حيث وقعت عند سفوحه معارك ضارية مع القوات الرومانية، فضلاً عن حدد وعيل وأنبطه وقاعة - تقوع. وأخيراً ها هنا موضع حسم - حشم (وفي النطق العبري فإن السين والشين حرف واحد) الذي جاء منه اسم الجماعة القبائلية الحسمونيين - الحشمونيين. إن تاريخ الحملات الرومانية على الجزيرة العربية، لإخضاع قبائلها وبسط نفوذ الإمبراطورية فيها، يجسد في بعض مقاطعه الساخنة حلماً قديماً لطالما راود اليونانيين من قبل. لقد بدأت هذه الحملات انطلاقاً من مصر منذ عصر البطالمة واستمرت حتى زوال الإمبراطورية البيزنطية. بيد أن الأهم من ذلك،

رؤية مغزاها في سياق الصراعات القديمة بين الآشوريين والمصريين، حين تزامن المصريون والعراقيون القدماء وتدافعوا بالمناكب للاستيلاء على خطوط التجارة الدولية عبر البحر الأحمر. إنه لأمر صعب حقاً، وخارج كل منطق تاريخي أو جغرافي، تخيل وقوع هذه الحروب في فلسطين، لسبب بسيط للغاية، هو أن بلاد الشام التاريخية كلها، كانت في هذه الأونة، تخضع فعلياً للسيطرة الرومانية المباشرة؛ بينما ظلت الجزيرة العربية واليمن - على العكس من ذلك - عصية عليها، ولم يتمكن الرومان من تحقيق وجود مستقر وفاعل في اليمن، حتى مع سقوط ميناء عدن في العام 50 ق.م، عندما نفذوا إنزالاً بحرياً ناجحاً هناك؛ بل إن الإسكندر المقدوني - وقبل نحو قرنين من هذه الأحداث - لم يتمكن من تحقيق هذا الحلم، ففي حملته الكبرى على الجزيرة العربية واليمن، وبالرغم من نجاحه في ترك حامية عسكرية في جزيرة سوقطرة اليمنية قدّرها الهمداني بعشرة آلاف رجل، لتأمين نفوذ يوناني - إغريقي حقيقي هناك (وحتى اليوم لا يزال هؤلاء يعيشون في سوقطرة اليمنية كقبائل عربية لها سجلات أنساب ترتفع إلى اليونان وقد تسنى لي شخصياً رؤيتهم والتعرف إلى بعض السكان ممن لا يزالون يعتقدون بأصولهم الإغريقية) فإنه لم ينجح تماماً في فرض سيطرته على قبائل متمردة وغير مُطبعة، وتملك فوق ذلك رابطة دينية قوية ومستعدة بطبيعتها لقتال قاسٍ في مناطق وعرة.

إن التقسيم الإداري لفلسطين، والمعروف جيداً عند الباحثين، لا يتضمّن أيّ اسم من الأسماء الواردة في سفر المكابيين. وهذا أمر مثير بالفعل؟ ولو افترضنا لأغراض السجال العلمي وحسب، أن الرومان كانوا يخوضون صراعاتهم ضد يهوذا المكابي وبلاد اليهودية في فلسطين؛ فإن لمن المنطقي توقع قيام الكتاب الرومان بتسجيل أسماء المقاطعات التي كانت خارج نفوذهم، أو التي سعوا إلى إخضاعها عبر هذه السلسلة من الحروب؟ والأمر المدهش - في هذا الإطار - أن يتجرأ التوراتيون على ادعاء وقوع الأحداث في فلسطين في عصرٍ أنجز فيه الرومان، وسجلوا بدقة كافية، كل ما يتعلق بالتقسيم الإداري لفلسطين وبلاد الشام. وفي سجلات هذا التقسيم الإداري لا وجود لأي اسم مما ورد في السفرين؟

فارس وروما قرب أورشليم وجهاً لوجه

وفي الواقع؛ فإنّ الحملات الرومانية - البيزنطية على فارس والتي يعرفها العرب جيداً - لأنها استمرت حتى عشية الإسلام - كانت تنطلق من مصر ومن بلاد الشام الخاضعة أصلاً لنفوذهم،

حيث اتخذوا من أنطاكية عاصمة حربية وإدارية لهذه الحملات. وهذا ما يفسّر لنا واقعة تاريخية كانت معروفة في الإسلام المبكر، عندما طلبت قريش من أبي بكر (رض) الدخول معها في رهان على انتصار فارس في الحرب مع بيزنطة. آنذاك، كان المسلمون الأوائل يراهنون على انتصار بيزنطة المسيحية على فارس الوثنية، وهذا ما تعبر عنه بدقة آية (غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون). وهذا يعني أن المعارك كانت في أدنى الأرض، أيّ على مقربة من أرض العرب لا في مكان بعيد عنهم. وبالطبع؛ فقد كان رهان فارس التاريخي، يقوم على فرضية أن الرومان سوف يغطسون في النهاية داخل رمال الجزيرة العربية. في الواقع لم تتوقف الحملات الحربية الرومانية على اليمن لانتزاعها من يد الفرس؛ حتى عشية الإسلام حين تركوا لوكيلتهم المحليّة (الحبشة) أن تبادر إلى احتلال اليمن نيابة عنها عام 525م.

كانت فلسطين وبلاد الشام في أعوام 160 - 134 ق.م هادئة، وتخضع كلياً لسيطرة الرومان؛ بينما كانت سواحل البحر الأحمر ونجران واليمامة ونجد، تشكل صداً مزماً يصيب روما بالدوار، جرّاء استمرار التحدّيات، تماماً كما هو الحال مع الإمبراطورية الآشورية التي لم توقف حملاتها الحربية من أجل تأديب الجماعات البدوية المتمردة في ساحل اليمن. بكلامٍ آخر: إن الحملات الحربية الرومانية على اليمامة والساحل اليمني، انطلاقاً من مصر - كما يقول السفر التوراتي - يجب أن يُنظر إليها كاستطراد في حملات تقليدية قام بها المصريون أنفسهم، إبان صراعهم مع الآشوريين. كل ما في الأمر، أن الرومان، أي حكام مصر الجدد في التاريخ المصري، كانوا يواصلون الدور ذاته الذي فرضته من قبل، مصالح مصر الاستراتيجية في ساحل البحر الأحمر واليمن (وهذا كما قلنا يجب أن يفسّر لنا سرّ اهتمام مصر في عصر الزعيم الراحل عبد الناصر بدخول اليمن؟).

وإذا ما وضعنا هذه التصورات، كأساس مقبول للحروب الرومانية، فسوف نتّمكن بسهولة، من رؤية كل المواضع المذكورة في السفر التوراتي. هاكم وصف الهمداني للموضع الذي ولد فيه يهوذا - هوذا المكابي، وللمواضع الأخرى التي شهدت المعارك الدامية (صفة: 259 - 260):

(الرّيان من مياه الضّباب وأيمن من قنوين وأسفل منه الفُرية والحِصاة حِصاة جبلة وعن يسارها بطن السرّ وهو أسفل وادي الرمة «....» ويظهر النّير بينه وبين الجنوب بطن العبرى، وإحساء بني حوثه وحلاقيم وفي رأس العبرى صوقع والمدان)

ها هنا المدان - مدان، تماماً كما في النص التوراتي وعلى مقربة منها وادي الرُّمّة (رمتيم) التي أُعيدت إلى سيطرة القبائل بعد المفاوضات مع الرومان. وها هنا وادي العبرى - العُبرُ الذي شهد بعض المعارك، فضلاً عن هضبة جبلة التي يقول النص - في تفاصيل لم نذكرها - أن معركة دامية وقعت فيها ضد الرومان. وها هنا الفرّية - ء فرمه - الميم اللاصقة هي أداة تعريف منقرضة. أمّا الحسيديون - حسيديم الذين تمكن يهوذه - هوذه من استمالتهم؛ فهم سكان موضع لا وجود له في فلسطين بكل تأكيد؛ بينما يمكن لنا رؤيته بسهولة في جغرافية اليمن، وبالصورة ذاتها: وادي الحسيد. هاكم ما يقوله الهمداني عن هذا الوادي وقبائله التي رأينا بعضها في الصفحات السابقة - (صفة: 137 - 139):

في وصف الساحل وقبائله وأوديته: ثم عتود وادٍ صغير، ثم وادي بيض، ومآتية من سراة جنب «.....» يرد العارة من أرض بني مسيح من شرقيه جبال السريح (انظر ما كتبناه عن قدس - المؤلف). ثم وادي الحسيد مآتية من غرب جبل صبر، وجبل سامع، ثم يخرج المخا إلى البحر «.....» فتجتمع جميع مياه رُسيان حتى تلتقي بالحسيد، ويصبّان في موزع، فينتهي جميع هذه الأودية في وطن حيس وبين أرض بني مجيد حتى تخالط البحر.

هذا هو باختصار شديد، وصف الوادي الذي جاءت منه الجماعة المُسمّاة (الحسيديون) والتي تمّ تخيلها على أنها جماعة مُتشدّدة دينياً بسبب الاسم الذي تحمله. هؤلاء الحسيديون سكان وادي الحسيد - حسيديم الذين يُقيمون في جبال السريح، أي على مقربة من جبل قدس إلى الجنوب من تعرّ، ويحملون اسم الجماعة التوراتية ذاتها، ليسوا بكل تأكيد سكان فلسطين الذين استمالهم يهوذه المكابي؛ بل هم من القبائل التي تعيش مع بني مجيد - مجدو. وها هنا وادي بيض - بيص، فضلاً عن سراة جنب. إن فلسطين التاريخية لا تعرف المكابيين ولا الحسيديين ولا الحسمونيّين. ولذا؛ فإنّ الحملات الرومانية التي يصفها السّفر، يجب أن يُنظر إليها على أنها استمرار للحملات الفرعونية القديمة للسيطرة على ساحل البحر الأحمر واليمن ونجران.. وفي هذا الإطار سوف نقدم مقاربة جديدة لنسب يهوذه المكابي. تنتسب أسرة يهوذه - كما رأينا من النص - إلى قبيلة بني (يريب - ريب، مثل: يمرء - مرء، يعرم - عرم، يهوذه - هوذه والياء والتاء حروف لاصقة معروفة في كلام أهل اليمن ولهجاتهم القديمة). وهذا الاسم يجب أن يُحيلنا إلى اسم الوادي الشهير

قرب مدان والذي تقول التوراة أنه مكان ولادة يهوذا (تيمناً باسم سبط هوذا) نعني وادي الريب. هاكم وصف الهمداني للوادي نفسه ولوادي يمرء حيث صُرع شقيق الملك ورسوله (صفة: 262 - 264)

(الريب وادٍ رُغاب ضخم فيه بطون من - بني - قشير. وأسفل وادي الريب وفي وسطه بنو حيدة، ثم من فوق ذلك ممّا يحف الريب إلى بلاد باهلة. ومن قصد الشمال من الفلج وادٍ يُقال له الهزيمة بينه وبين اليمامة، ومن أخذ الثفن من الفلج إلى اليمامة أخذ أسافل أودية جعدة فيأخذ الغادي على أسفل الغيل من الثفن وهو وادٍ رغاب كثير النخل كثير الحصون. ثم وادي المراء ثم البرك)

في هذه النصوص التي يقدمها الهمداني، يمكننا رؤية الوديان والجبال التي ورد ذكرها في السفرين التوراتيين. ها هنا الحسيد والريب وجبل الثفن وحُسم والعبرى والمراء (الذي ينتسب له بنو يمرء) بالتسلسل نفسه وبالصيغ نفسها وعلى مقربة من بعضها البعض، فضلاً عن سائر الأسماء الأخرى مثل مدان التي ولد فيها يهوذا. فهل ثمة ما يدعونا إلى الظن، مجرد الظن، أن هذا التطابق في الوصف وفي صيغ ومباني الأسماء هو محض مصادفة؟ لكن، ولأجل مقاربة جغرافية تجعل من هذا الحدث قابلاً للتصوّر ضمن وحدة جغرافية متكاملة ومتناغمة، هاكم وصف الهمداني للوديان الكبرى في اليمن: (صفة: 137 - 139) - النص مُختصراً :-

(في وصف وادي الحسيد: والوادي الرابع هو وادي الحسيد مآتيه من غرب جبل صبر. ثم يخرج المخا إلى البحر. ووادي الضباب إلى القرعاء من مناهل برداد وأرض شرعب من بلد الركب وجبال شمير فتجتمع جميع مياه رسيان حتى تلتقي بالحسيد)

(ويضيف: 146 - 147):

(والثاني وادي أبين وهو مما يلي لحج ومآتيه من شراد وبنا (ومن سائلة حورة التي تتألف من جبال الأعماس: المحقق) والثالث وادي يرامس

والرابع دثينة والخامس أحور. وجبال السكاسك: جبل صبر للحوشب
وجبال الركب وشمير)

هذا هو وادي الحسيد، وها هنا جبال الأعماس التي ورد ذكرها في معارك يهوذا المكابي مع الرومان. ومن غير شك؛ فإنّ الوصف الجغرافي الذي ترسمه التوراة بدقة للأماكن، باعتبارها مواضع جبلية وودياناً، لا يترك أدنى مجال للاشتباه بأن ما نقرأه يقع في نطاق المصادفة اللغوية وحسب، ذلك أن وجود هذه المواضع وبالتوصيفات نفسها وفي فضاء جغرافي واحد (يمتد من اليمامة حتى أعالي نجد اليمن وسراتها) أمر يستحيل ردّه إلى مجرد مُصادفة جغرافية جمعت الأسماء نفسها. هذا يعني أن الذين وضعوا سفر المكابيين ضمن التاريخ الفلسطيني، إنّما كانوا يزوّرون التاريخ الإنساني برمّته، لأنهم يحشرون فيه جماعات وعصور لا وجود لها. ولذا؛ يتوجب أن نشطب من التاريخ الفلسطيني عَصراً بأكمله، وهذا ما سوف يتضح لنا بصورة دقيقة حين نقوم برواية التاريخ بصوتنا.

القدس ليست «أورشليم العصر الروماني»

لماذا لم يسجل كاتب سفر المكابيين، وهو يتحدث عن احتلال أورشليم العاصمة الدينية لبلاد اليهودية من قبل الرومان، أنها «القدس» أو هي «قدس»؟ ولماذا اكتفى بالقول أن أورشليم سقطت في يد الرومان؟ كان الرومان، ومنذ تفكّك الإمبراطورية اليونانية وانتقالها إلى البطالمة في مصر، والسلوقيين في العراق وخراسان وسواها، وبعد نحو اثني عشر عاماً من وفاة الإسكندر المقدوني ودخول العالم القديم في عصر جديد إغريقي - روماني بدءاً من عام 330 ق.م؛ يدركون الأهمية الاستراتيجية لسواحل البحر الأحمر. ولذا راحوا يصوّبون أنظارهم نحو الجزيرة العربية واليمن، بعد أن تمّ لهم إخضاع بلاد الشام. وفي الواقع، لم تكن هناك تحدّيات تُذكر في فلسطين أو بلاد الشام، بالمقارنة مع المتاعب التي تسبّبت بها القبائل البدوية في الجزيرة العربية واليمن، وهذا ما يُفسّر على أكمل وجه، السبب الحقيقي لوجود تقسيم إداري روماني في فلسطين. إن هذا يُدلل على عصرٍ من الاستقرار لا على عصر من الفوضى والحروب؛ والمثير أن هذا التقسيم لا يتضمّن أيّ اسم من أسماء المواضع والمدن والأماكن الواردة في سفر المكابيين؟

هكذا، ونحو العام 160 ق.م، فقد كان هناك حاكم رومانيّ على إقليم بلاد السمرا (وبالعبرية: مدينة أي: بلاد) كما كان هناك ولاية من ضباط الجيش في سلسلة من المناطق تمتدّ إلى وادي حورون.

وبالطبع فليس ثمة في فلسطين أي وادٍ قرب البحر بهذا الاسم، ويصفه السِّفر بأنّه على مقربة من البحر؟ لقد حدثت أولى المعارك ضد حكام المقاطعات الرومانية في أماكن متفرّقة لا وجود لأيّ منها في فلسطين، ولا بأيّ صيغة من الصيغ. فالى ماذا يشير هذا؟ ببساطة، يشير هذا الأمر إلى حقيقة أن المقاطعات المذكورة في السفرين لم تكن في فلسطين؛ بل في نجد وتهامة وبعض أجزاء اليمن والتي لم يكن ممكناً إخضاعها فعلياً، أو السيطرة عليها بشكل مباشر، ولكن يمكن إدارتها بواسطة حكام يتلقون باستمرار وكلما اقتضت الحاجة، دعماً حربياً يتمثل في الحملات التأديبية للقبائل. وفي هذا النطاق؛ ركّز الرومان على سياسة إنشاء قاعدة عسكرية خلفية لدعم عملياتهم الحربية في أنطاكية - التي أصبحت العاصمة الحربية والإدارية منذ عصر بطليموس الصغير -. يقول سفر المكابيين ما يلي: إنّ الرومان تعرضوا لهزيمة ماحقة على يد يهوذه المكابي في وادي حورون وفي جُزر - جازر حسب الرسم التقليدي في التوراة العبرية -، وأنهم فروا من القتال باتجاه البحر. كما نعلم من السفر أن يوحنا شقيق يهوذه، قُتل في وادي حورون على يد عصابة من بني يمرء، وأنّ إحدى المعارك وقعت في عشدّد التي جرى تخيلها في صورة أشدود.

إننا لا نعرف ضمن خريطة فلسطين القديمة، أي موضع يُدعى حورون، يمكن الوصول منه إلى موضع يدعى جُزر، أو الهروب منه إلى البحر، كما لا نعرف أشدود قرب هذه المواضع؟ بينما نعلم من وصف الهمداني أن هذا الوادي هو بالفعل لقبيلة تحمل الاسم نفسه، وأنّ وادي جُزر يجاوره، وهما معاً يصبّان في البحر، وأنّ عشدّد اسم لوادٍ بعينه في اليمن، وأنه المكان الذي تُقيم فيه القبيلة اليمنية التي تحمل الاسم نفسه؟

يقول الهمداني (صفة: 186 - 187) ما يلي:

في وصف الطريق إلى ردمان: عقد والصدر لبني عبد من حمير، حضنان واديان للمربين. أودية منها حوران كلها لبني مر. وادٍ كثير النخل لبني شداد.

هذه الطريق، كما سبق لنا ورأينا، تؤدي إلى الساحل. وهذا يعني أن المعارك التي دارت بين يهوذه والرومان لم تقع في فلسطين، لسبب بسيط للغاية هو أنها لا تعرف أي اسم من الأسماء الواردة في سجل أحداث السفرين التوراتيين (وادي حوران - حورون وجُزر وشداد - عشدّد). والأمر المؤكد أنها وقعت في الساحل اليمني، ينبني لا على المصادفة اللغوية أو الجغرافية، وإنما

على حقيقة أن التاريخ العسكري لروما في هذا الجزء من العالم، وفي عصر أنطيوخوس وخلفائه تحديداً، كان - بامتياز - تاريخ الحملات الحربية على فارس واليمن وسواحل البحر الأحمر، وليس على فلسطين أو بلاد الشام. علماً أن اليمن كانت هدفاً مغرياً بالنسبة للرومان، لأنها كانت تخضع لنفوذ فارس السياسي والديني. أما فلسطين وبلاد الشام، فلم تكن تعرف اضطرابات متواصلة وعنيفة وجدّية، تستدعي مثل هذه الحروب؛ بل إن المسرح الصغير لبلاد الشام وفلسطين من المنظور الجغرافي لحملات ضخمة، كذلك التي وصفها السفر، لا يحتمل توأصلاً وعنفاً وزخماً، وإمكانات على المقاومة المستمرة، تتحقق فيه انتصارات لامعة على الرومان. إن منطق الأحداث يخالف أي محاولة لوضعها داخل التاريخ الفلسطيني.

هذا الإطار التاريخي - الجغرافي المقترح، سوف يسهل (على القراء غير المتخصصين) إمكانية تتبّع التوصيف التوراتي للمواضع التي دار فيها القتال.

وهاكم، أولاً، القائمة التي أعدناها عن النص:

1: آدم - آدم	21: جزر - جزر
2: ء قربتن - القرب	22: بيت زيت - بيت زيت
3: بني بين - بني بين	22: بيت زيت - بيت زيت
4: يعزير - عزور	24: تقوع - قاع
5: دي تيمه - ذي تمه	25: الغوص - الغوص
6: ظبت - ظبوة	26: أنبطه - أنبطه
7: الجليل - الجليل	27: بني يمرء - بني المراء
8: صور - صور	28: عيل - الإل
9: صيدا - صيده	29: تمنية - منيه
10: عرابات - غرابات	30: بيت بيص - بيض
11: بصرة - بصرة	31: مكماس - الكامس

12: باصر - باصر	32: عفرة - عفرة
13: عليم - علم	33: لدة - لدة
14: مقيد - مقيدة	34: رمتئيم - الرمة
15: حيلم - حيلم	35: حصور - حضور
16: رفون - رفون	36: الزبيديون - الزبيديون
17: بيت سان شان - بيت بشان	37: ء دوره - الدور
18: كشور - كشور	38: سكمه - سقمه
19: ءرص - جنبه - أرض جنب	39: عزة
20: حبرون - حبر	40: حصر مئيل
41: حصن دوق - دوق	42: يمنييه - منيه

تتضمن القائمة - أعلاه - طائفة من المواضع، التي سبق لنا البحث عنها وتحديدتها ضمن جغرافية اليمن القديم؛ ونحن، كما هو واضح، نكتفي بعرض معظم، وليس كل المواضع منعاً للتكرار - إن أي اسم من هذه الأسماء لا وجود له في أرض فلسطين التاريخية على وجه الإطلاق. وهذا أمر غريب ويبعث على الحيرة والتساؤل، إذا ما تقبلنا فرضية أن الأحداث التي يرويها السفر وقعت هناك؟ وسوف نبدأ من موضع دوق - رقم 41 - الذي دُفن فيه سمعان قائد جيش يهوذا المكابي وشقيقه، حسب قول النص، وكذلك من موضع سلامة - رقم 23 - الذي دارت فيه إحدى أهم المعارك. إن شمال فلسطين المدعى أنه كان موطن مملكة يهوذا، لا يعرف ولم يسمع سكانه قديماً - بالطبع - باسمي هذين المكانين. وإذا كان ثمة ما يؤكد وجود مدفن لملكٍ إسرائيلي مزعوم، فإن لمن المنطقي أن تظل الأرض هناك، محتفظة عنه ببقايا ذكريات من نوع ما، أو حتى مرويات شعبية تحتفظ باسم صاحب القبر؟ لكن شيئاً من هذا كله لا يبدو موجوداً إلى النهاية، لأن موضع دوق ليس هناك البتة. يصف الهمداني موضع دوق وكفر سلامة، ويحددهما على النحو التالي (303 - 304):

(محجة صنعاء إلى مكة إلى طريق تهامة: من صنعاء صليت من البون، ثم الموبد ثم عثر ثم - وادي - بيض ثم حلي ثم الجوّ ثم دوقه، وهي للعبدتين من بقايا جُرْهُم. هذه طريق الساحل والمحجة القديمة ترتفع إلى حلي العليا)

ها هنا وادي دوقه - دوق على الطريق الساحلي لجنوب غرب الجزيرة العربية قرب وادي بيص - بيص، تماماً كما في السفر التوراتي. وللتأكيد على أنّ القدماء من الجغرافيين العرب كانوا يعرفون هذا الوادي بوصفه مكاناً يمينياً، نورد - هنا - شهادة ياقوت الحموي التالية (ياقوت: 2: 551):

(دوقه: بأرض اليمن لغامد. وادٍ على طريق الحاج من صنعاء لمن سلخوا تهامة. قال زهير الغامدي:

أعاذلُ منا المُصلتون خلالهم

كأنّا وإياهم بدوقة لاعب)

أما كفر سلامة التي التقى فيها جيشا نكانور الروماني ويهوذه المكابي، فهي ذاتها قرية سلامة التي حددها الهمداني في قبلة الطائف شرقاً؛ قائلاً عنها - وفي إطار الاعتقاد السائد في عصره - أنها (موضع تبقى منه حائط كبير لا يُعرف صاحبه وهو من أبنية العباسيين). ولذلك أطلق عليه العامة من الناس اسم حائط أم المقتدر؛ وهذا مفهوم تماماً، فالعامة في كل مكان وعصر، يُسمّون أسماء المواضع التي يجهلون تاريخها بأسماء لا تزال حاضرة في ذاكراتهم الجمعية. هاكم ما يقوله الهمداني عن بقايا قرية سلامة في عصره (232 - 233):

(ثم بلد حرام من كنانة وهو وادي أئمة وحلي العليا والسرين ساحل كنانة والليث ومركوب واديان فيهما عيون، وطيبة وملكان. ومن قبلة الطائف أيضاً وادٍ يُقال له مشريق لبني أمية من قريش ووادي جلدان. وفي قبلة الطائف حائط أم المقتدر الذي يُدعى سلامة)

قال امرؤ القيس قرية كفر سلامة القديمة من قرى اليمن وهي حتى اليوم هناك باسمها هذا : قرية سلامة- بني سلامة في مديرية المنار بمحافظة ذمار (صفة: 344) ذاكرأ قرية - كفر سلامة -

القديمة:

عفا شطب من أهله فعزور

فموبولة إن الديار تدور

فجزع مُحياة كأن لم تُقْم به

سلامة حولاً كاملاً وقدور

إن وجود أثر قي مكان ساحلي قديم لا يُعرف صاحبه أو لمن يجب نسبه، وفي الامتداد نفسه ويُدعى سلامة، كما أنه على مقربة من موضع عزور - يعزور التي تغنى بها امرؤ القيس، وحيث دارت معركة ضارية مع الرومان؛ أمر يتوافق بكل تأكيد، مع تصوراتنا القائلة أن الحروب الرومانية ضد بلاد اليهودية جرت ساحل البحر الأحمر، وهي استهدفت كما نرى، إخضاع القبائل المتمردة هناك وليس إخضاع فلسطين. وما يؤكد ذلك أن النص التوراتي يتحدث عن جماعة يسميها الزبيديون شاركت في المعارك الدائرة. ولا وجود بكل يقين لمثل هذا الاسم في الساحل الفلسطيني. ومع ذلك تزعم القراءة الاستشراقية أن هؤلاء هم أنفسهم (الذين يعيشون في سهل الزبداني). وهذا غير معقول؟ لأن الزبداني السوري مكان بعيد للغاية عن الساحل الفلسطيني؛ بينما نرى أن المنطق الجغرافي يقول: إن هذه الجماعة تقيم في ساحل زبيد في الامتداد نفسه لساحل الطائف وساحل عثر. والزبيديون اسم نسبة من زبيد اليمنية وليس من الزبداني السوري. وفضلاً عن هذا كله، يشير سفر المكابيين إلى موضع يدعى ألماس. والمقصود به موضع الماس الذي وصفه الهمداني (صفة: 365) بقوله:

(الماس أكمة سوداء من بلد الهجن من أرحب)

وفي هذا الإطار؛ فإن لوجود موضع يدعى الماس ضمن مقاطعة أرحب التي اشتهرت بعتاتها (أشرارها ولصوصها ومقاتليها الأشداء) أمر له أهمية قصوى في سياق البرهنة على زيف المطابقة الاستشراقية. يقول السفر التوراتي ما يلي: إن يهوذا المكابي وفي طريقه لمحاربة الرومان، ضرب جماعة من قطاع الطرق واللصوص يُعرفون بأنهم من بني بئِن، وهؤلاء حسب وصف الهمداني هم

سكان وادي ذي بين الذي تصبّ مياهه في بلد صيد - صيدا، بينما كان الرومان يهاجمون في هذه الأثناء، موضع يدعى صيدا - صيده.

وقد تخيّل التوراتيون هذا الهجوم على أنه هجوم روماني موجه صوب صيدا اللبنانية، وهذا غير معقول جغرافياً، إذ كيف يمكن من الناحية الجغرافية - العسكرية، جمع سهل الزبداني السوري بساحل صيدا اللبناني، وهذان بساحل فلسطين؟

هاكم وصف الهمداني للمكانين (صفة: 159) ولتتمعنوا النظر في اللغز الجغرافي:

(أودية من ظاهر همدان مثل: ذي بَيْن وما يسقيهما من ظاهر - بلد - الصيد وما يسقط إليه من مدر وإتوة والخشب (المحقق: الخشب: قبيل ووطن مشهور وهم من عُتاة أرحب).

ولنلاحظ وصف محقق الهمداني العلامة الأكوغ، لسكان هذا الوادي بأنهم «عُتاة أرحب» أي الرجال الذين يتصفون بالبأس والشدة في بلد أرحب حيث توجد الماس - انظر الماس أعلاه ؛ كما توجد صيدا - صيده التي دارت فيها المعارك.

أما موضع حيلم - حلم في القائمة، فيمكن رؤيته كما هو اليوم باسمه وفي الفضاء الجغرافي لمعركة قدس - قدش المعافر تماماً، ففي دراسة أثرية للمواقع القديمة في منطقتي (قدس - سامع) من المعافر²⁴ تبين أن أعمال المسح الأثري في موقع يدعى (حليم - حيلم) قد كشفت عن العديد من المواقع الأثرية تعود إلى مراحل وفترات زمنية مختلفة، وتضمنت تلك المواقع بمختلف مكوناتها وأشكالها على العديد من المعالم والشواهد الأثرية والتاريخية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وبشكل أكبر لفترة العصر البرونزي، حيث تواجد معظمها على سفوح الجبال المنحدرة، والقيعان المطلة على ضفاف الأودية ذات الينابيع الجارية والنباتات الطبيعية، وقد احتوت معظم المستوطنات على بقايا أساسات لمنشآت سكنية دائرية وبيضاوية ومربعة، بعضها مستقلة (فردية) كما هو الحال في موقع حليم والهجمة، الحَنَن، وقحفة الصرم في منطقة قدس وموقع حرور بمنطقة سامع. ها هنا موضع حيلم - حليم (بتقديم وتأخير الياء وهي ظاهرة معروفة في العربية تسمى ظاهرة القلب اللغوي)

أكذوبة « يهوذا والسامرة »

وإذا ما قمنا بإعادة رواية حروب يهوذه المكابي في الإطار التاريخي - الجغرافي المقترح؛ فإن لغز هذه الحروب سوف يكون قابلاً للتفكيك بسهولة. كان أبولونيوس والياً رومانياً على إقليم السمرا. وقد هيا جيشاً عظيماً لتأديب القبائل المتمردة في بلاد اليهودية، ومن بينها بقايا قبيلة «بني إسرائيل». ومع تواتر الأنباء عن استعدادات الرومان العسكرية لغزو بلاد اليهودية، تناهت إلى أسماع يهوذه المكابي، أنباء تحركات رومانية في نجد وفي تهامة، وبأن الرومان جهزوا جيشاً قوياً لمحاربته في قلب العاصمة الدينية أورشليم. ولذا بادر إلى ملاقاتهم في الصحراء، لتنشب إثر ذلك معركة كبرى، حقق فيها يهوذا أول انتصار لامع على الرومان، إذ تمكن من سلب سيف أبولونيوس نفسه. كان لهذا الانتصار وقع خاص على أسماع قائد سورية الروماني سارون الذي فكر في اغتنام الفرصة، والقيام بهجوم مباغت للانتقام من يهوذه المكابي. وهكذا جهز جيشاً من الحاميات السورية وصعد لمهاجمته في البادية، قبل أن يتوغل في قلب الجزيرة العربية، ثم يزحف نحو المناطق الواقعة في الجنوب الغربي، حيث نشبت معركة أخرى ضارية على ضفاف وادي حورون - حوران. هاتان المعركتان شرّعتا الأبواب أمام سلسلة من الصدامات في نجد والبادية العربية وسواحل البحر الأحمر، استعان فيها الرومان بالجيش الروماني المتمركز في بلاد الشام، وبالمرتزقة من القبائل البدوية المنافسة والوثنية الكارهة للقبائل اليهودية العربية (ذات الأصول القحطانية - اليمنية).

ثم كانت هناك الحملة الثالثة الكبرى بقيادة جورجياس، وهي الحملة التي بلغت جبال الأعماس (عمواس) حيث التحقت به جماعات إسناد من أرض أدوم. وكما يلاحظ من هذا السرد الذي روجت له القراءة الاستشرافية اللاهوتية وهي تتلاعب بالتاريخ؛ فإن سفر المكابين لا يشير قط - في هذا المقطع من المعارك - إلى وجود تهديد عسكري لأورشليم أو أن يطلق عليها اسم القدس، وهو أمر لافت للانتباه؛ فلو أن الرومان كانوا يريدون من هذه المعارك الاستيلاء على أورشليم وهم حكام سورية الجنوبية، فمن غير المنطقي أن يجهزوا كل هذه الجيوش لترسل إلى البادية؟ إن فلسطين التاريخية، إذا ما قبلنا فرضية أن الحروب دارت في المسرح الفلسطيني، تعرف بكل تأكيد موضع عمّ أوس - عمواس هذا. وقد وجد الجغرافيون المسلمون (ياقوت - مثلاً) أن عمّ أوس - عمواس، هو من المواضع القريبة من الرملة على الطريق إلى القدس العربية. بيد أن وجود مثل هذا الاسم، ليس دليلاً كافياً بحدّ ذاته، للبرهنة على أن المقصود منه المكان نفسه الذي عناه السّقر، لسبب بسيط للغاية هو أن هذا الاسم موجود بمعزلٍ عن أية أسماء أخرى وردت في النص. وعلى سبيل المثال ليس هناك إلى جواره أرض تُدعى أدوم، كما أنه لا يؤدي إلى أي مكان آخر من الأمكنة التي

وصفها السفر. إن الرسم العبري الصحيح للاسم ليس عمواس - كما في الرسم العربي من الترجمة السائدة للتوراة - بل الأعماس أو عُماس، وهو سلسلة جبلية صغيرة تتجمع في أسفلها المياه القادمة من قرية السدة - عسدد وعلى مقربة تماماً من جبل آدم، أي بالضبط قرب سائر الأماكن التي يصفها السفر التوراتي، ويشير إلى أنها كانت مسرحاً للقتال مع الرومان. هاكم التوصيف الدقيق من الهمداني ومحققه لجبال الأعماس - وهذا هو الضبط الصحيح. يقول الهمداني (صفة: 197) في وصف مخلاف السحول الممتد من عقبة الذهوب في مدينة إب جنوباً وإلى البادية شمالاً (وقد تحول اسم هذا المخلاف تالياً إلى اسم مخلاف الكلاع حيث يشتهر سكانه بزيادة النون في نطق الأسماء) ما يلي:

(مخلاف السحول: والمسكن من هذا المخلاف جبل بَعْدان وجبل آدم، وسلية وأرياب الذي مدحه الأعشى)

ويضيف الهمداني ومحققه (صفة: 146 - وانظر الهامش) ما يلي:

وادي أبين وهو مما يلي لحج ومآتيه من شراد وبناء، أرض رُعين (المحقق: وادي بنا له فرعان، يشكل سيلاً عظيماً من الروافد التي تمده وتسمى باسم خاص. وتلتقي مع سيل الدلاني في أعلى قرية السدة ويرفدها ما جاء من سائلة حورة التي تتألف من جبال الأعماس).

في هذين المقتطفين الرائعين، لدينا سلسلة جبال صغيرة في مخلاف السحول تُدعى الأعماس، ترتبط بجبل آدم في وحدة جغرافية متكاملة؛ وهذا ما يجعل من رواية سفر المكابيين عن المعارك ضد الرومان، قابلة تلقائياً لأن توضع في موضعها الصحيح من التاريخ اليمني، بينما يستحيل وضعها في التاريخ الفلسطيني القديم. ولذلك؛ فإن وجود اسم واحد مُشابه للاسم التوراتي، لا يمكن أن يكون دليلاً قاطعاً. وفي الواقع، من المحتمل أن الاسم الأعماس - عمواس (عم - أوس) أو عموس، انتقل مع القبائل المهاجرة - في الأصل من اليمن - إلى فلسطين في السياق ذاته، لانتقال سلسلة من أسماء المواضع اليمنية إلى بلاد الشام القديمة، وذلك مع بدء الهجرات الكبرى والانزياح المتتالي للقبائل العربية - اليمنية عن أوطانها بفعل جملة من الأسباب التاريخية. كانت أوامر الملك الروماني لسياس، واضحة وصريحة بعد هزائم قاداته في البادية العربية: السير نحو قلب القبائل العربية اليهودية وتدميره، أيّ الزحف صوب أورشليم اليبوسية - اليمنية القديمة. وكنا أشرنا إلى أن

قرى اليبوسيين أو بيت بوس هي أورشليم التوراة. وبكل تأكيد؛ فإن قاصد بيت بوس اليمينية من مخلاف خولان وأرض أدوم، سوف يبلغها بسهولة، في حين أن من المستحيل العثور على الأعماس أو عمواس في أرض أدوم من أجل الوصول إلى القدس الفلسطينية؟ ولنتذكر هنا أن هدف الحملة المباشر، هو القضاء على القبائل المتمردة في عقر دارها، ومهاجمة مراكزها الدينية. وفي هذا الوقت كانت روما وثنية، بينما كانت القبائل العربية اليهودية في اليمن والجزيرة العربية تدين بدين جديد وتوحيدي. لقد كانت أورشليم هي الهدف الذي سعى إليه الآشوريون في حملاتهم العسكرية من قبل، وما هي تصبح من جديد مع الرومان هدفاً من بين أهداف كبرى في صراع ديني - سياسي؟

وهذا مغزى قول السيقر: أن القوات الرومانية وصلت إلى أدوم ثم خيَّمت في بيت صور في طريقها إلى أورشليم. فهل هناك أدوم وصور في الطريق إلى القدس؟ وهل يصبح أمراً منطقياً - في هذه الحالة - أن لا نتقبل بأي صورة من الصور فكرة أن أورشليم هي القدس؟ إذا ما افترضنا أن الأحداث وقعت في فلسطين، فكيف يمكن التوفيق بين إشارات ومقاصد الجملة الأنفة: إذ كيف يصلون إلى أدوم في فلسطين ثم يعسكرون في صور اللبنانية، إذا ما كان هدفهم تدمير أورشليم (المزعوم أنها القدس العربية)؟

معركة كفر سلامة والطريق إلى حصار أورشليم الرومانية

في أعقاب معركة كفر سلامة- عزلة سلامة في ما يعرف اليوم بمديرية المنار بمحافظة ذمار نحو العام 160 ق.م وهو ما يقابل في التاريخ الحميري 45 ق.م- ونحن نعلم أن الفارق بين التاريخين الميلادي واليميني الحميري نحو 115 سنة- وكل هذا يعني أن الغزو الروماني وقع في هذا العصر، وبعد هزيمة الحملة الرومانية بقيادة نكانور، جرت ملاحقة فلول الرومانيين حتى جزر قرب ردمان اليمينية، ومشارف وادي حوران (وليس حوران السورية). وفي هذه المعركة قُطع رأس نكانور نفسه وأُخذت أسلابه. ومع ذلك وبالرغم من هذه الأحداث، بادر يهوذه المكابي إلى الاتصال بالرومان، وأرسل موفدين منه إلى روما هما أولمبس بن يوحنا، وياسون بن آليعزر، بهدف إقناعها بجدوى التحالف مع القبائل اليهودية العربية. وأكثر من ذلك، طرح الموفدان إمكانية أن تقوم مشيخة - مخلاف بلاد اليهودية في اليمن، بدور عسكري في حروب روما. بيد أن الآمال بعقد هذا الحلف سرعان ما تبددت مع أول حملة للملك الروماني في نجد اليمن لبسط النفوذ الروماني على وادي الجليل. وعندما زحفت الجيوش الرومانية للاستيلاء أولاً على جبال الزيت - زيتيم، نشبت معركة

ضارية كان مسرحها يبدأ في بئرة - بئروت، وينتهي في وادي حصور - حضور. وفي هذه السلسلة من المعارك الدامية سقط يهوذا المكابي قتيلاً. لكن، بعد مقتله أصبح شقيقه يوناتان ملكاً على بلاد اليهودية. يقول النص التوراتي: إن يوناتان قرّر الانتقام لدم أخيه يوحنا الذي قتله بنو يمرء في حوران، عندما أرسل لطلب العون من القبائل في مواجهة القوات الرومانية، وأنه في سياق هذا الانتقام، ضربهم بقسوة في أنبطة - أنبطه. وبذلك أصبحت مهمته المباشرة ذات طبيعة مزدوجة: إخضاع القبائل التي لا تعترف بسلطته، ومواجهة التحديات الرومانية. ولذلك وفور تنفيذه لعملية انتقام مدبرة قام بها ضد بني يمرء، حيث تمكن من الإيقاع بهم في كمين محكم أثناء عرس في أنبطة، تفرغ لتحسين مواضعه في تمنية - منيه وفرعتون - فرعة وثفون - ثفن وسواها. والهمداني يصف هذه المواضع في نصه بصورة دقيقة للغاية. هاكم ما يقوله عن موطن بني يمرء - المراء وأودية ثفن، وفرعة - فرعتون (صفة: 264):

وَمَنْ أَخَذَ طَرِيقَ وَادِي الثَّفْنِ مِنَ الْفَلْجِ إِلَى الْيَمَامَةِ، أَخَذَ أَسْفَلَ أَوْدِيَةِ جَعْدَةَ.
وَالثَّفْنِ وَادٍ رَغَابَ كَثِيرٍ النَّخْلَ كَثِيرَ الْحَصُونِ فَإِنْ أَحَبَّ شَرِبَ - مِنْ وَادِي -
دَلَامِيسَ، وَإِنْ أَحَبَّ شَرِبَ - مِنْ وَادِي - الْمَرَاءِ وَمِنْ قِبَلَةِ الْفَلْجِ فَرَعُ وَادِي
أُكْمَةِ ثُمَّ الْفَرْعَةَ.

ولنلاحظ التناظر بين النصوص؛ فالنص التوراتي يتحدث عن حصون أقامها يوناتان في ثفون - ثفن وفرعتون - فرعة؛ بينما يتحدث نص الهمداني عن حصون كثيرة في هذين الواديين.

حصار أورشليم وتهديم المعبد (بيت الرب)

في العام 159 ق.م أي نحو العام 44 ق.م. حاصر الرومان أورشليم مرة أخرى إثر حملة قادها ضابط روماني كبير يُدعى بكيديس، كان قد عسكر خلال الحملة الجديدة في وادي بيص - بيض على الساحل. لقد سعت القراءة الاستشرافية، عبثاً إلى مطابقة اسم قرية بصا الفلسطينية الصغيرة قرب بيت لحم الفلسطينية، مع اسم وادي بيص - بيض هذا. بيد أن سياق الأحداث يشير إلى وادٍ كبير، أقام فيه الجيش الروماني معسكره وليس إلى قرية صغيرة، بعيدة كل البعد عن القدس العربية. إن وادي بيص هذا ليس سوى وادي بيض (بيص - بيصي في العبرية تعني: بيض). والدليل على ذلك أن الرواية التوراتية تقول ما يلي: إن الحملة الرومانية تراجعت نحو موضع يُدعى كماس بعد فشل الضابط الروماني بكيديس في مهمته الحربية. وبالطبع ليس ثمة من موضع يُدعى

مكماس على الطريق إلى وادي بيض سوى موضع الكامس الشهير في الشعر العربي. يرسم الاسم في العبرية في صورة كر - كمش. وكلمة (كر) العبرية تعني (مرج) أي مرج كامس. ومع حلول العام 145 ق.م أي نحو عام 38 ق.م حسب التاريخ الحميري، جهّز الرومان حملة أخرى بقيادة أبولنيوس لتأديب القبائل المتمردة (أبولنيوس هذا هو ابن والي السامرة الذي قهره يهوذا المكابي وهو يحمل اسم والده) وقد عسكر بقواته في منطقة جديدة تسمى في النص العبري يمينيه - منيه. وهذا الموضع يُرسم في الطبعة العربية من التوراة خطأ في صورة يمينيا. في بداية هذه الحقبة من الحروب وخلال إحدى المعارك الدامية، سقطت يفو - يفا في يد يوناتان (تُرسم يفو خطأ في الطبعة العربية في صورة: يافا كجزء من التضليل والإيحاء بأن الأحداث تدور في فلسطين فيما المقصود منها يفا). وفي وقت لاحق، ومع صعود أنطيوخوس السادس 145 - 142 ق.م، والمعروف باسم: أنطيوخوس الصغير، جرت أول محاولة جدية لعقد معاهدة صلح، تُمنح القبائل المتمردة بموجبها، حق السيادة على ثلاثة أو أربعة مواضع هي (ء فرمة، لدة - لدة - وهذه جرى تخيلها على أنها اللد الفلسطينية، ثم رمتيم، وربما أضيفت إليها في وقت لاحق ء قربتن كما ترى القراءة الاستشرافية من دون إسناد أو دليل، بينما نرى أنها يُفاء التي سقطت في يد يوناتان). إن فلسطين التاريخية لا تعرف أيّ موضع من هذه المواضع، كما أن علماء الآثار لم يجدوا أي أثر دال على وجود أماكن ومواضع بهذه الأسماء في فلسطين، بينما يعطينا الهمداني الأسماء ذاتها وفي الفضاء الجغرافي ذاته. بيد أن محاولة التوصل إلى معاهدة صلح حقيقية، سرعان ما تعرضت للفشل، مع تعاظم مخاوف الرومان من نفوذ يوناتان بين سائر القبائل العربية في النجد. ولذلك جهّزوا حملة أخرى لإلحاق الهزيمة به. لكن، واستعداداً لهذه التطورات، أقام يوناتان مخيماته قرب وادي خناصر (جناسر في الطبعة العربية) قبل أن يتجه إلى وادي حضور - حضور. ووادي خناصر هذا هو مسيل مياه على مقربة من مخلاف حضور، تماماً كما في وصف السفر. إليكم هذه المقاربة بين النصين:

سفر المكابيين: (النص العربي: 11: 64: 12: 11 لتسهيل عودة القراء إليه)	الهمداني (صفة: 209 - 210)
وخيم يوناتان مع جيشه عند مياه خناصر. مناهل لعسان ذو حضور، ثم إلى حضور فسافلة حضور	والأحص وهو منهل الظّهار - ثم - وصلوا فجراً إلى أسافل حضور

تكشف هذه المُقاربة عن الحقيقة المُذهلة التالية: إن المعركة التي خاضها يوناتان - يونتن ضد القوات الرومانية، وقعت إلى الغرب من صنعاء، وليس في فلسطين؛ التي لا تعرف أيّ موضع أو مسيل مياه - مناهل مياه - يُدعى مياه خناصر، ولا مسقط مياه يمكن تسميته أسفل حضور - حضور. وهذا هو اسم الوادي الذي تسجله التوراة في نصوص متفرقة، كما تعيد التذكير فيه في سفر المكابيين. وبالطبع، فليس من المنطق في شيء القول أن وجود الاسم نفسه وبصفته هذه هو مجرد توافق لغوي أو جغرافي محض.

وفي هذه المعركة - وبحسب النص العبري - زحف يوناتان برجاله على القوات الرومانية وكسرها، ثم طارد العدو إلى قدش. إن أحداً لا يعرف قدس هذه قرب مياه خناصر وأصل حضور في فلسطين؛ بينما يمكن ببساطة تصوّر مسرح القتال الذي يبدأ من غرب صنعاء حتى جنوب تعزّ، حيث جبل قدس وأصل وادي حضور ووادي خناصر. وفي أعقاب هذا الصدام الدامي، قرّر يوناتان في إطار الاستراتيجية التقليدية ذاتها والتي لطالما أتبعها القبائل على اختلاف دياناتها وظروفها، إرسال موفدين إلى روما من أجل إبرام وتجديد الاتفاقات المعقودة بين القبائل العربية والإمبراطورية. عنى هذا، من وجهة نظر سياسية، أن القبائل المتمردة على الرومان كانت لا تزال، حتى في ظروف الحرب، مستعدة لانتهاج خط سلمي إذا ما تمت الاستجابة إلى بعض مطالبها. وهذه هي الاستراتيجية التقليدية التي تنتهجها معظم القبائل مع القوى الكبرى؛ فهي مستعدة للمضي معها شوطاً أبعد، سلباً أو حرباً، ولكن في سياق الاحتكام إلى مستوى الاستجابة لمتطلباتها ومصالحها وميولها الاستقلالية. في النهاية وبعد سلسلة من الحروب والمعارك مع الرومان، وقع يوناتان - يونتن في قبضة القوات الرومانية في معركة وادي بيسان - بيسان نتيجة لخدعة دبّرها تريفون القائد الروماني الطموح؛ ولتبدأ منذئذٍ، حقبة جديدة يصبح فيها شقيقه سمعان قائداً وحيداً من غير منافس، ثم - تالياً - ملكاً وكبيراً للكهنة في بلاد اليهودية في سرو جَمِير. وبين أعوام 143 - 134 ق.م، وقبل صعود سمعان إلى العرش بقليل، عادت القوات الرومانية بقيادة تريفون إلى سياسة الحملات الحربية المتواصلة، لإرغام خليفة الملك الأسير على إظهار مزيد من الخضوع لمشينة الإمبراطورية. ولكن؛ ولمواجهة هذا الوضع وربما تحديّه بصورة مباشرة وفورية، اتجه سمعان بقواته في شتاء عام 143 ق.م إلى حديد - حديد في العبرية (وهي اليوم الحديدية في شمال اليمن) وهي منطقة تقطنها قبائل عربية من بني حديد - وهذه غير حدد في اليمامة التي سبق الكلام عنها؛ بينما كان تريفون يستدير بقواته من ء دوره ليمضي في سكمه - سقمه، بسبب كثافة الثلوج التي

تساقطت على الطرق الجبلية. وفي هذه المواجهة القاسية بين المُتَحَارِبِينَ، قُتِلَ الملك الأسير يوناتان - يونتن الذي جيء به إلى مسرح الحرب بقصد المساومة. وبعد مفاوضات معقدة، تمكن شقيقه سمعان من الحصول على جثة شقيقه وعلى حق دفنه في مسقط رأس الأسرة في مِدَان موطن آبائه. إن فلسطين التاريخية لا تعرف أيّ موضع من المواضع الأنفة؛ فليس ثمة طريق جبلي تتساقط فيه الثلوج بكثافة في الشتاء، يُدعى حديد أو سكمه - سقمه أو سقم، كما لا توجد مدان.

ويصف لنا الهمداني - وعلى العكس من كل مزاعم التوراتيين والاستشراقيين - سائر هذه المواضع على الطرق الجبلية من جرّش اليمّن. ولنتذكّر في هذا السياق أبيات امرئ القيس عن جبل أبان عند وادي الرّمة - رمتيّم الذي تغطيه الثلوج - انظر ما كتبناه عن أبان :-

كَأَنَّ أَبَاناً فِي تَفَانِينَ وَبَلِّهِ

كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

وهذا وصف رائع ونادر للثلوج التي تسقط فوق جبل أوبن- أبان في التوراة. واسم هذا الجبل ينطق عند اليمنيين في صورة أبان- أبان، علماً أنه يُدعى أبان الأبيض لكثافة الثلوج التي تغطيه، بحيث يبدو مثل رجل كهل مهيب يتدثّر بثوب بدوي مخطط هو البجاد (وفي العبرية بجاد بالمعنى نفسه). يقول الهمداني في وصف مواضع القبائل القاطنة بين نجران والجوف إلى جرّش (صفة: 237 - 231):

(غرب، والحضارة، والعشتان، والبردان، والبردان بئر بتبالة وبالعرض من نجران، وسقم، والذي يسكن هذه البلاد من قبائل نهدي، وحرام. وأول الأودية بين نجران والجوف قضيب واليتمة - ثم - جُرّش: وهي كورة نجد العليا من ديار عنس من أشراف حمير. وجُرّش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة تتحدر منها مياهها. والدّارة والفتيحا وطيب هذه أودية عسير. والذي يُصالي جنب من ديار عنز الرفيد والغوص وتمنيّة والغوص يسكنه بنو حديد وتمنيّة يسكنها بنو مالك والدّارة والفتيحا وتسمّى هذه أرض طود)

ها هنا وفي جبال نجران التي تمتد وصولاً إلى جُرّش، المواضع ذاتها الواردة في نص السِّفر وهي على التوالي: سقم - سقمه التي اتجه صوبها الجيش الروماني بعدما حاصرته الثلوج،

والدّارة - عدورة التي سار إليها من النجد - انظر ء دوره في القائمة -. وها هنا منازل القبيلة العربية بني حديد - حديد، تماماً كما في النص التوراتي. فضلاً عن ذلك، هناك المواضع ذاتها الواردة في السفر (انظر القائمة) مثل تمنية والغوص (الغياض كما في الترجمة العربية) واليتمة - دي تمه (أو ذو تمه وهذا تركيب لغوي يمني خالص). وإذا ما سار المرء على خطى الرومان بين هذه السلسلة من الوديان والجبال ومسائل المياه متجهاً صوب الطائف؛ فإنّه سوف يصل إلى البحر، تماماً كما في وصف السّفر لسير العمليات العسكرية. وبالطبع، فلن تقوده خطاه في إثرهم إلى فلسطين، مهما فعل وتمنى. ثم يختتم السفر روايته للحملات الرومانية على بلاد اليهودية القديمة بقصة مصرع سمعان ودفنه في دوقه - دوق.

أين ظهرت مملكة «بلاد اليهودية القديمة»؟

إذا ما عُدنا إلى بعض المواضع الواردة في السفر، ومنها الموضع الذي قيل أن القبائل فيه، كانت مستعدة لمساعدة يهوذا المكابي في حربه ضد الرومان، أي إلى طبت - ظبوة؛ فسوف نراها في المكان ذاته لسائر الأماكن الواردة في النص التوراتي. يقول الهمداني عن ظبوة (صفة: 155 - 156):

(في وصف الجوف اليمني: ومساقى الخارد من فروع مختلفة فأولها من مخلاف خولان في شرقي صنعاء فيصبّ إليه غيمان وما أقبل من ظبوة. وما أقبل من عدّ ورد ومن أشراف نقيّل السود فبيت بوس)

وكنا رأينا أن المقصود من أورشليم التوراة (بيت بوس). ها هنا القبائل القاطنة قرب بيت بوس في وادي ظبوة - العبرية تستعويض عن الظاد بالطاء -. أما كشفر - كشور - في العبرية الحديثة يُلفظ الواو فاء، فليست سوى وادي كشور اليمني نفسه. (صفة: 162 - 163):

(ثم وادي نجران وفروعه من ثلاثة مواضع من خولان ومن بلد شاکر والحناجر. ويلقاها سيل عكوان من شرقي دماج فيضم إلى العشة ثم يلقاها وادي كشور فسيل جدرة)

هذه هي أحداث سفر المكابيين التي جرى تخيلها في فلسطين على الرغم من انعدام أيّ عنصر تاريخي موثوق به - في القراءة الاستشرافية للرواية التوراتية؛ يمكن أن يدعم أو يؤيد، بأيّ

صورة من الصور، وجود المواضع المذكورة هناك. وعلى العكس من ذلك، ثمة كل ما يلزم من العناصر التاريخية والثقافية التي تؤيد وبقوة، نظريتنا عن وقوع الأحداث في اليمن القديم. إن إعادة بناء الرواية التاريخية التي سجلتها التوراة على أساس جديد، يقطع مع التخيل الكولنيالي، سيكون ممكناً ومطلوباً في الآن ذاته، عندما نقرأ الأحداث في سياق طموح الإمبراطورية الرومانية لبسط نفوذها على امتداد سواحل البحر الأحمر.

بعد كل هذه الحروب المدمرة اندثرت بلاد اليهودية العتيقة (وعاصمتها الدينية القديمة أورشليم العربية - اليمنية وهي بيت ييوس) واختفت من مسرح التاريخ. لقد أرغمت هذه الحروب المتواصلة، القبائل العربية العاربة على الهجرة نحو حاضرة الإمبراطورية الرومانية آنذاك: بلاد الشام. والتاريخ المقبول من وجهة نظرنا، لبداية تدفق القبائل العربية العاربة بما فيها بقايا قبيلة بني إسرائيل من يهود اليمن وسواحل البحر الأحمر وتهامة ونجد اليمن واليمامة، نحو جنوب الشام (فلسطين) يجب أن يكون في حدود 130 ق. م وهو ما يقابله في التاريخ الحميري حوالي 25 ق. م وليس قبل ذلك، لأن المعارك كانت لا تزال مستمرة وبقوة زخم مدمشة حتى هذا الوقت، بين القبائل العربية اليهودية بقيادة يهوذا المكابي، والقوات الرومانية الغازية. وفي حدود هذا التاريخ كانت أورشليم عاصمة بلاد اليهودية الدينية في سرو حمير، ولم يكن اسمها القدس قط. وابتداءً من هذا التاريخ أو بعده بقليل، تدفقت وعلى شكل موجات متعاقبة، وتحت ضغط الحروب والحملات العسكرية المدمرة؛ جماعات وقبائل وشعوب منهكة، تقلصت وإلى حد بعيد إمكاناتها القتالية والحربية وتقلصت قدرتها على مواصلة التمرد، لتستقر في بلاد الشام والعراق وسواها من البلدان، ثم لتترك هناك ذكرياتها في صورة أسماء قديمة للمواضع التي تركتها مرغمة. وبالتلازم مع هذه الهجرات الكبيرة، ظهرت في فلسطين أولى التجمعات السكنية للقبائل اليهودية اليمنية، أي أن القبائل هاجرت في النهاية، إلى «حواضر» الإمبراطورية الرومانية، خصمها اللدود الذي حاربته وتصالحت معه مراراً وتكراراً. إن رواية ابن العبري المُقتضبة للغاية، لهذه الأحداث (تاريخ مختصر الدول: ط، بيروت - بدون تاريخ نشر) ولكن الموازية مع ذلك، تنبني في جزء منها على مصادر عدة من بينها الرواية التوراتية الواردة في سفر المكابيين. ولذا يمكننا أن تقدم دعماً للاتجاه الذي تسير فيه نظريتنا عن المسرح الحقيقي لهذه الحروب في اليمامة ونجد اليمن.

ولد ابن العبري في العام 1226م، وعاصر الأحداث الدامية في بغداد، وفاوض - بنفسه - هولاكو بعد سقوط بغداد عام 1258م، من أجل الإبقاء على حياة رعايا الكنيسة في أنطاكية. يقول

ابن العبري في كتابه ما يلي: إن بطليموس أفيفانوس وبعد الانتصار في مصر، جهز حملتين حربيتين سارتا نحو بلاد الشام و«بلاد اليهودية» لإخضاعهما. ويضيف (تاريخ: - مصدر مذكور 61) ما يلي:

وملك بعده أنطيوخس أوفاطور، سنتين، واضطهد اليهود اضطهاداً شديداً. وولي أمر اليهود يهوذا المكبي، وجمع بين الملك والكهنوت، ونفى نواب أنطيوخس من «أرض يهوذا» وصار اليهود يحاربون ملوك الروم.

يشير هذا النص إلى اسم يهوذا المكابي في صورة يهوذا المكبي الذي جمع بين كونه كاهناً أعلى وملكاً، كما يشير إلى قيامه بطرد نواب الإمبراطورية (في اليمامة ونجد اليمن وما يُسمّى إقليم السمرا ويفاء ورمثيم وسواها). والأهم من ذلك أن ابن العبري يشير إلى حملتين، سارت إحداها إلى بلاد اليهودية والأخرى إلى بلاد الشام. وهذا يعني أن ابن العبري يميز تمييزاً جغرافياً دقيقاً وصحيحاً بين بلاد الشام وبلاد اليهودية. إن إقليم «بلاد» السمرا الذي قُرى في صورة السامرة لا يقع في شمال فلسطين وذلك طبقاً للرواية التوراتية؛ بل في شمال اليمن حيث دارت المعارك ضد الولاة الرومان في قلبه، وفي أطرافه عند موضع الغرابات - عرابات في التوراة. وبالطبع؛ فإن السامرة (الضفة الغربية من فلسطين) لا تعرف هذا الاسم، بينما نجد إقليم السمرا العربي - اليمني، وهو يضمّ الغرابات وديار هوزة نفسه؟

هاكم ما يقوله الهمداني (صفة: 252 - 253):

ثم تقطع بطن قوّ، ثم السمراء وهو أرض سهب، ثم تأخذ في الدهناء وهي هناك مسيرة يومين. ومن عن يمين ذلك الغرابات ثم تسير في السهباء ثم تقطع جُبَيْلاً قريباً له ثم الروضة ودار عجل وديار هوزة - بن علي السُحيمي الحنفي - وهي أول اليمامة. ثم من أسفل ذلك القُرى من اليمامة والقنع، وهذه اليمامة حصون متفرقة ونخل ورياض.

هذا هو إقليم - بلاد - السمرا في الفضاء الجغرافي ذاته للمعارك التي وصفها السفر، وها هنا اليمامة التي دارت فيها الحروب ضد الرومان، وها هنا ديار الحنفيتين (الموحدين الأوائل في الجزيرة العربية) الذين تسمّى آخر ملوكهم باسم يهوذا، تيمناً باسم الملك العربي اليهودي الذي قاتل

الرومان يهوذة المكابي.لأجل ذلك كله، يتعين - اليوم - أن نشطب من التاريخ الفلسطيني عَصراً
بأكمله نُسب إلى فلسطين خطأ؛ بل وأن نشطب كل ما له صلة بحروب يهوذة المكابي من تاريخ بني
إسرائيل في فلسطين الخيالية، وأن نعيد وضعه بكل أمانة ضمن تاريخ اليمن والجزيرة العربية لكل
ذلك أيضاً، فالقدس العربية - الإسلامية هي قدسنا،ليست ولم تكن أورشليم التوراة.

الفصل السادس

بيت بوس واكتشاف أورشليم

من بين أكثر الأوهام الشائعة في التاريخ الفلسطيني، أن القدس هي أورشليم²⁵، وأنها دعيت باسم (بيت بوس) وأن سكانها القدامى كانوا (يبوسيين) و(كنعانيين). ويستند أصحاب هذا الزعم الرائج - دون دليل واحد - على ما أشاعه المستشرقون وبعض علماء الآثار من التيار التوراتي من أفكار خاطئة، مبنية لا على المكتشفات الأثرية، وإنما على مطابقة ما ورد في النص التوراتي مع جغرافية فلسطين. وهما، برأينا مكانان منفصلان، أحدهما يدعى قدس وهو جبل، والثاني مدينة دينية جبلية حصينة تدعى أورشليم، ولا صلة جغرافية بين الجبل والمدينة. والصحيح بشكل قاطع بالنسبة لي، أن أورشليم المدينة - وليس القدس العربية الإسلامية - هي التي عُرفت باسم (بيت بوس).

ولعل المكتشفات الأثرية الثمينة في اليمن، تدحض كلياً مثل هذه المزاعم، فلا أورشليم كانت تدعى القدس - أو العكس - ولا كان اسمها بيت بوس، ولا كان سكانها ييوسيين أو أنها كانت مدينة كنعانية - بالمعنى الاستشراقي -. لقد أدى استخدام اصطلاح الكنعانيين ضمن التاريخ الفلسطيني بطريقة اعتباطية إلى تمبيع الجغرافيا، وتحويلها إلى جغرافيا أسطورية يستحيل الاستدلال إليها؟ فمن هم الكنعانيون سكان فلسطين القدامى، وما المقصود بهم؟ لقد هيمنت هذه النظرية الزائفة على السرد التاريخي الراهن، فما من كاتب أو دارس أو باحث إلا ويتحفنا بهذه المعلومات المضللة دون أدنى تدقيق، وثمة من يتطوع - من بين أساتذة التاريخ في الجامعات العربية وربما بعض علماء الآثار السطحيين - لتكرار هذه الأساطير بمناسبة أو دونها؟ وبوسعي اليوم، أن أقدم ما يكفي من النصوص العبرية والنقوش المسندية التي يرد فيها وصف بيت بوس، وجبل قدس في اليمن وموطن (ها - فلشتيم) في وادي المفاليس - الميم أداة تعريف - أي وادي الفلسطينيين، وهي مطابقة من حيث الوصف

والأسماء والوقائع للنص التوراتي، وذلك لدحض المطابقة غير العلمية بين جغرافية فلسطين وأرض التوراة. والأمر المؤكد، بالنسبة لي، أن النظرية السائدة والقائلة أن أورشليم القديمة كانت تدعى القدس، أو أن هذه كانت تدعى بيت بوس، مبنية بالكامل على تلاعب مدروس ومنهجي قام به علماء آثار وباحثون ومستشرقون من التيار التوراتي. لقد نهب هؤلاء المنقبون والرحالة وعلماء الآثار - وعلى امتداد عقود من البحث الأثري والسطو اللصوصي المنظم - كنوز اليمن التي لا تقدر بثمن، وجرى بقصد فاضح، إخفاء أي أثر لها. ولولا بقية سلمت من النهب، لما كان بوسعنا اليوم القيام بعمل تصحيحي من هذا النوع. والسؤال المحرج الذي يتوجب طرحه ونعلم أن لا جواب له هو التالي: أين اختفت نقوش بيت بوس اليمن؟ وأين ذهبت نقوش جبل قدس (جنوب غرب تعز) ولماذا خربت دار - سالم (كما تعرف اليوم)؟ وأين نقوش بيت لحم اليمن؟ وماذا عن رفح ونقوشها؟ ولماذا اختفت نقوش فراة - فرات في وادي صيحان؟ وأين نقوش جرش؟ لقد فتشت دون جدوى - وطوال سنوات - عن أي نقش من نقوش المسند، يعود إلى هذه الأماكن التي جرى فيها تنقيب محموم، وخلال حقبة وفترات مختلفة، نظمت فيها حملات تنقيب عالمية الطابع ودون توقف تقريباً. لقد أخفى هؤلاء، كل النقوش التي لا تقدر بثمن، وورد فيها وصف واسم جبل قدس والأحداث التي شهدها، كما جرى إخفاء نقوش بيت بوس التي سجلت حملات داود ضدها. وأستطيع أن أجزم في ضوء نقاش علمي قد أخوضه بقوة في مناسبة تالية، أن التلاعب بالتاريخ الحقيقي واختراع تاريخ بديل، قد بلغ ذروته فقط حين جرى (زرع) نقوش يمنية في الأردن وفلسطين، والزعم بأنها اكتشفت فيهما، ومن بين هذه النقوش ما يعرف بنقش ميشع (اليشع). وهو نقش تسبب في رواج ترهات - ضخّمها كتاب التاريخ العرب ويا للأسف - مفادها أن ميدب هي مأدبا؟ والأمر ذاته ينطبق على ما يعرف بلقائف البحر الميت المكتشفة في جزيرة قمران، وبرأينا أنها لقائف يمنية من كنوز جزيرة قمران اليمن (وتعرف باسم جزيرة كمران) وأن الذين أعادوا دفنها، وتسهيل اكتشافها من الأعراب؛ إنما كانوا يتلاعبون بنا. وإلا لما جرى حجب أهم نصوصها عن أعين العلماء والدارسين.

والآن: إذا ما عدنا إلى نص يشوع حول أورشليم؛ فإن الوصول إليها يتطلب المضي قدماً في وادي دبر؟ فكيف لنا أن نصدق هذه الجغرافيا المختلفة؟

هاكم هذا الاكتشاف:

يقع وادي الدبر - اليوم وضمن التقسيم الإداري لليمن في مديرية سنحان - خولان - وهي مديرية غنية بالأماكن الأثرية والقرى التاريخية، منها هجرة دبر، ودار سلم - دار شلم، وريمة - ريمة، وسامك - سامك في التوراة، ومن قراها وأوديتها سيان - سيان في التوراة. ومن أشهر المواقع الأثرية فيها هجرة دبر، وهي أطلال قرية تقع في وادي الفروات (عفرات في التوراة) من مديرية سنحان شرق صنعاء على مسافة (23 كيلومتراً) جنوباً. أما قرية دار سلم، كما تسمى اليوم، فتقع جنوب شرق صنعاء ويحدّها من الشرق وادي الأجبار، ومن الجنوب السواد (ما يسميه الهمداني نقيل السود) ومن الشمال لكمة العرة ومن الغرب الجرداء. أما اقتران اسمها بسلم، فيروي أهالي القرية التاريخية أن سلم أب القرية الروحي، سكنها منذ زمن وسميت باسمه. ودار سلم أطلق عليها اسم القاع إبان العهد الإمامي وسميت بدار القاع. والمثير أن جميع السكان تقريباً يؤيدون القول أن الاسم الحقيقي لسلم هو شلم، وأنه رجل كان له شقيقه يدعى شالوم. كما أن تضاريس المنطقة وآثارها وطبيعة بقايا سكانها، تؤكد أن الطائفة اليهودية تقطنها، مثلما سكنت في مناطق مشابهة كمطقة القاع بصنعاء والتي كانت سكنى لليهود - حتى خمسينات القرن الماضي حين تم نقلهم إلى إسرائيل عبر سلطات الاحتلال البريطاني في الشطر الجنوبي سابقاً - وقد بلغ عدد اليهود اليمنيين المهجرين نحو 60 ألفاً. إن مشاهد الخراب التي تحيط بالقرية تدلّ على أنها لن تستعيد، قط، تاريخها الحقيقي الذي جرى تزويره. وقبل تبيان الأخطاء الفاضحة التي وقع فيها مترجمو النص العبري إلى العربية - وبقية لغات العالم - أودّ التذكير، مرة أخرى ببعض البديهيّات التي لطالما جرى إهمالها أثناء النقاش، فقط لأنها بديهيّات، لكنها - ولأهميتها الشديدة ستظل أساسية في تقرير الحقيقة التاريخية وفهم النص فهماً صحيحاً. وأولى هذه البديهيّات، أن التوراة تتحدث عن جبل قدس وليس عن مدينة. والمتشدّدون اليهود يدركون هذا الأمر بدقة، ولذا نشأت جماعة (أمناء جبل الهيكل) التي تؤمن بحرفيّة النصّ التوراتي، فالهيكل في الجبل، كما تقول هذه النصوص. لكن القدس العربية ليست جبلاً ولا فوق جبل؟ أما ثاني هذه البديهيّات، فهي أن اسم القدس اسم حديث لا يرقى إلى أبعد من الفتح الإسلامي لبلاد الشام (عصر عمر بن الخطاب - رض -) وهو كتب بنفسه العهدة العمرية التي نصّت على أن المكان يدعى (إيلياء). ولو كان الخليفة عمر يعلم أن اسمها القدس (الشريف) لما كتب الاسم الروماني؟ وثالث هذه البديهيّات، أن المسلمين لم يستخدموا تعبير (بيت المقدس) في وصفها إلا بعد شيوع رواية الإسراء والمعراج. أما قبل ذلك، فلا توجد أي إشارة أو وثيقة تؤيد معرفة العرب والمسلمين بالاسم. وعلى العكس من ذلك، لدينا ما يكفي من الأدلّة أن العرب

والمسلمين - في الجاهلية والإسلام المبكر - كانوا يعرفون جبل (قدس) المبارك في تعز اليمن، ولا يعرفون (القدس) التي ظهر اسمها هذا تالياً وبعد الفتح الإسلامي لجنوب الشام؟ وأن النبي - ص - ذكر اسم جبل قدس في الحجاز (وهما جبلان مباركان بنفس الاسم من دون ألف ولام) كما ذكرنا ذلك في مطلع الكتاب.

لقد استعمل المسلمون اسم القدس، حين استبدلوا التقسيم الإداري الروماني بتقسيم إداري عربي - إسلامي جديد، أي حين مصرّوا الأمصار وبنوا الدواوين في خلافة عمر، فأصبحت المدينة تدعى (بيت المقدس). وهو اسم ديني - وليس تسمية إدارية - ويرتبط في ذاكرات العرب والمسلمين بديانة يعقوب (إسرائيل) التوحيدية، بما أنها امتداد لدين إبراهيم، وبشكل أخص بقصص سليمان وبناء المعبد - الهيكل. وفي القصص الديني الإسلامي غالباً ما يقال، إن سليمان شيّد بيت المقدس، لكن التوراة تسمّيه هيكل الربّ، ولا تقول إنه (القدس)؟ في الواقع، شاع اسم بيت المقدس، قبل الفتح الإسلامي وبقرون طويلة خارج اليمن، وبشكل أخص في الحبشة، وذلك مع انتشار اليهودية فيها، ثم مع تحولها إلى النصرانية - المسيحية العربية الأولى انطلاقاً من موطنها التاريخي اليمن. وهذا أمر هام للغاية يتعيّن ملاحظته بدقة، فقد دخل اسم بيت المقدس في الأساطير الدينية الحبشية التي ما تزال مستمرة في المسيحية هناك. كما شاعت في المسيحية الحبشية (الأثيوبية) أسطورة زواج سليمان من مأكدة أي بلقيس بطريقة غير شرعية، وأنه أنجب منها ولداً هو داود؟ وأنها توطأت مع ابنها لسرقه ما يدعى في هذه الأساطير (سيدة صهيون) وهو تابوت العهد المصنوع من خشب مقدس. كما يتداول مسيحيو أثيوبيا حتى اليوم، معتقدات دينية تقول أن أورشليم مدينة سماوية هبطت من السماء. وفي سياق انتشار يهودية اليمن في محيطها الحبشي، ظهر اسم مقديشو (العاصمة الصومالية أي القدس - بمعاملة الميم الحميرية كأداة تعريف: مقدس = القدس). وهذا ما درج عليه المسلمون الذين استخدموا اسم بيت المقدس للدلالة على المسجد الأقصى، ثم سرعان ما نشأ التباس فظيع لا يزال مستمراً حتى اليوم، فكثرة من المسلمين لا تميّز بين مسجد قبة الصخرة الذي بناه الأمويون، وبين المسجد الأقصى. وهذا أمر مفهوم ومبرر، فهم - عبر هذه المماهة والدمج - يواصلون تقاليد روحية مستمرة، ترى إلى المكان المقدس وحدة واحدة يتكرّر ظهورها في أماكن مختلفة. بهذا المعنى، دخل الفاتحون المسلمون وهم يحملون ذكريات عميقة عن بيت المقدس القديم الذي علموا بقصة بنائه في عهد سليمان في اليمن. ولا يوجد أي دليل تاريخي، يؤكد أن الفاتحين المسلمين كانوا يعرفون المكان باسم آخر، ولذا استمروا في استخدام تعبير (بيت المقدس) للدلالة

على المسجد الأقصى (وهو تعبير ديني وليس مكاناً بعينه، إذ لا يوجد ما يؤيد وجود مكان بهذا الاسم ولو كان هناك مثل هذا المكان لصلّى فيه عمر بن الخطاب؟) وذلك ما استمر لوقت طويل، ربما إلى وقت قريب من حروب الفرنجة (ما يعرف بالحروب الصليبية). حين سمعوا ضجيج الأوروبيين القادمين باسم المسيحية يتعالى لاستعادة القدس، بوصفها إرث المسيحية الضائع. وأخيراً، تكرّس الاسم مع العثمانيين. لكل ذلك، يصبح أمراً مستحيلاً تخيّل أن التوراة ذكرت اسم القدس، ونحن نعلم أنها كتبت نحو 500 ق.م؟ فماذا تقول النصوص التوراتية عن جبل قدس (وليس القدس)؟

هاكم ثلاثة نماذج ورد فيها الاسم وبالتوصيف الجغرافي:

النص الأول (يشوع 10: 41)

(الترجمة في النسخة العربية: فضربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزة مع كل أرض جوشن)

الترجمة البديلة (فطاردهم يشوع من قدس وبرنع حتى عزه وكل أرض جوسن)

النص الثاني (يشوع: 15: 3)

ועבר צנה ועלה מזגב לקדש ברנע (الترجمة في النسخة العربية: ويمر إلى صين ويصعد إلى جنوب قادش برنيع)

الترجمة البديلة (ومن - عُبر - صنه، ثم تصعد من جنب إلى قدس وبرع)

النص الثالث (سفر يشوع 20: 7) فَقَدَّسُوا قَادَشَ فِي الْجَلِيلِ فِي جَبَلِ نَفְتَالِي، وَشَكِيمَ فِي جَبَلِ أَفْرَايِمَ، وَقَرْيَةَ أَرْبَعٍ، هِيَ حَبْرُونُ، فِي جَبَلِ يَهُوذَا.

וַיִּקְדְּשׁוּ אֶת-קֹדֶשׁ בִּגְלִיל, בְּהַר נַפְתָּלִי, וְאֶת-שָׁכֶם, בְּהַר אֶפְרַיִם; וְאֶת-קָרְנַת אֲרָבָע הִיא חֶבְרֹן, בְּהַר יְהוּדָה.(الترجمة في النسخة العربية: فكَرَّسُوا قَادَشَ فِي الْجَلِيلِ فِي جَبَلِ نَفْتَالِي)

الترجمة البديلة (فقدَّسوا جبل قدس في الجليل وفي سراة نفتلي)

تحليل النصوص

النص الأول: نلاحظ في هذا النص، أن محققّي ومترجمي النص العبري، أهملوا القيمة الدراسية الخاصة بأسلوب الكتابة العبرية، فهو يتميز بطابع فريد من نوعه بين الأساليب القديمة، فعدا عن افتقاد النص المكتوب للفواصل بين الجمل والكلمات والأسماء؛ فإنه يقوم على أساس السرد التوصيفي المتدفق والمتتابع، وهذا ما يتأكد من إمعان النظر في طريقة سرد أسماء الأماكن بالتتابع. ولذلك، وقعوا في خطأ الافتراض بوجود مكان اسمه قدس برنيع، وهما موضعان 26. كما أنهم - في سياق الهوس بفلسطين - تخيلوا اسم عزة في صورة غزة (بالغين المعجمة).

وبكل تأكيد لا وجود لجبل اسمه قدس برنيع يؤدي إلى غزة؟ وصحيح الجملة كما بيّنّا هو التالي: إن يشوع طارد القبائل من جبل قدس وجبل برع 27 حتى جبل عزه فبلغ أرض جوسن. يقع جبل قدس - باسمه هذا حرفياً - في الجنوب الغربي لمحافظة تعز (مديرية المواسط) ويبعد عن مركزها حوالي 70 - 80 كيلو متراً، تحدّه من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية عزلة (بني يوسف) ومن الشرق والجنوب الشرقي مديرية الصلو، ومن الجهة الجنوبية الغربية مديرية الشمايتين وجزء من مديرية المقاطرة ومحافظة لحج، ويحدّه من الجهة الغربية والشمالية الغربية أرض بني حماد. وتعد القرية التي تحمل اسمه، ملتقى لكثير من الطرق، كطريق النشمة وطريق طور الباحة. وتبلغ مساحة جبل قدس (74.6) كيلو متراً، وفيه عدد من القرى والعزلات الجبلية (نحو 49 قرية). ومن أشهر وأهم الأودية في هذه المنطقة، وادي نخلة ووادي رسيان موزع الزريقة ووادي المفاليس، والضباب. واسم مفاليس (بإسقاط الميم الحميرية عم فلس) هو الصيغة القديمة ذات الأصل العبري من اسم الفلسة (ها - فلسديم) الوارد في التوراة، وهم سكان جبل قدس، تماماً كما في نصوص التوراة. ومن الملاحظ أن القبيلة أخذت اسمها من اسم إلهها الفلس، وهو إله السرّة (الخصب). وقد وصفهم ابن المجاور 28 في رحلته لهذا الوادي فقال (وعرب التهائم من موزع إلى أعمال أبين - محافظة أبين - مع جميع العقارب - عقارب أو عقربيم في التوراة - وهم عرب هذه البلاد، يسمون بنو الحرث، يدعون المحبة لله وفي الله. وإذا وجد أحدهم غزاً ميته أخذوها وغسلوها وكفنوها ودفنوها وبقي الغزال في جميع القبائل مدة سبعة أيام مشفقين الجيوب مقطعين الشعور يذرون الترائب على المفارق، ففيل لهم فيما هم فيه فقالوا: نحن نمشي على الأصل. ولم يأكل أحد من أهل هذه القبيلة خبزاً مقابل امرأة، ولا يشرب - مقابل امرأة - ولو مات جوعاً وظماً. ومن هذا الحد - أي الموضع - يخلّى الجمال - أي تترك الجمال لصعوبة الحركة - ويركب الحمير إلى قدام. وما اشتق اسم المفاليس إلا من الإفلاس كما قال أبو نؤاس:

أريد قطعة قرطاس فتعوزني

وجل صحتي أصحاب القراطيس

تحاهم الله من ود ومعرفة

إن المياسير منهم كالمفالس

ومن المفالس إلى نقيل الحمر فرسخ ونصف، بناه الشيخ أحمد بن الجنيد بن بطل. وحدثني يحيى بن عبد الرحمن الزراد قال: إنما بناه محمد بن سليمان ابن بطل. ويقال إنه ثلاثمائة وستون ملوى أي فركة، ذبح على كل ملوى رأس بقر، فدية وستة أحمال حنطة وخرَج ثلاثمائة دينار، ويقال إنه خرَج كل ملوى بألف دينار، وبنى على كل ملوى سقاية ومسجداً. فلما أتمه طالبته زوجته بمهرها، فقال لها: ما تريدين مني؟ قالت: أريد أن تعطيني ثواب عملك وأنت في حل من المهر، فأعطاه ثواب ما عمله. وتَمَّ - بناؤه - ستة وعشرين وخمس مائة وهو بناء عجيب حسن. وفي النقيل حجران فيهما على هيئة فرجي امرأتين. سألت المكاري عن حالهما، فقال: إنما كانا امرأتين مسختا حجرين، إحداهما بانث في ضرس جبل، والثانية قطعة فرشت على جملة بناء المدرج. قال ابن المجاور ورأيت فيه شيئاً شبه الدم ولم يتحقق عندي أنه دم، أو غيره. وحدثني أحمد بن المهنا الصفار الحلبي ثم الفدسي قال: يمكن أن يكون ذلك الدم موميا بني آدم، لأن موميا بني آدم الأصل فيه هو الذي يعقد من الحجر ويسيل. وقال بعضهم: إنه يُشَمَّ من الحجر رائحة كريهة، شممت ذلك ووجدته بخلاف ما قالوا. والحجران هما على مائتين وثلثين ملوى وهما على يمين الصاعد من المفالس إلى الجوة، وعلى يسار النازل إلى المفالس قدره مائة وثلثين ملوى. وعلامته أن نبت على رأس الحجر الواحد شجرتا سلم، فيصل فيئهما إلى الحجر الثاني الذي أدخل في جملة البناء. وبقي النقيل على حاله إلى أن دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن، فخرجت العرب بعض النقيل لئلا يعبره أحد. (وبقي مهدوماً إلى أن تمكن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب من الملك وجدد عمارته من ماله). في هذا النص الرائع (الطويل نسبياً) ترك لنا ابن المجاور معلومات ثمينة عن قبيلة الفلس (في واديهم المعروف باسم المفالس) فهم كانوا وثنيين يتعبدون لإله الخصب القديم الذي تخيلوه في صورة (السرّة أو فرج المرأة). واتّسموا بفرط مشاعر الحب والرافة حتى أنهم كانوا يكون أياماً لموت غزال (الغزال معبود قديم). وكانوا يحتفظون ببقايا طقوس عبادته حتى وقت طويل من الإسلام، وذلك ما يدلّ عليه احترامهم لتمثالي المرأتين الحجريتين. لكن ابن المجاور - مثله مثل أبي

نؤاس - لم يكن يعرف العلاقة الدلالية بين فلس وكلمة السرّة (وهي تدعى الفلس) فافتراض أن للاسم علاقة بالإفلاس، وهذا تخريج لغوي سطحي. ومن غير شك، فوجود هذا الوادي العظيم في جبل قدس، وبقبيلته التي تحتفظ باسم الفلس القديم وطقوس عبادته، يدعم ما ورد في نصوص التوراة كلياً، فقد اصطدم داود (وهو عند اليمينيين ملك يمني) بهؤلاء في هذا المكان بالذات، وليس في فلسطين، إذ لا يوجد أي دليل لغوي أو جغرافي فيها يؤيد وقوع مثل هذا الصدام. كما أن وجود عزلة بني يوسف في هذا الفضاء الجغرافي يقدم دليلاً آخر على ما ورد في التوراة عن منازل الأسباط، فقد حصل سبط يوسف على منازل لا وجود لها إلا في هذا المكان، وهي تدعى إلى اليوم منازل (بني يوسف). لقد وقع مترجمو النص العبري الخاص بمنازل السبط الإسرائيلي يهوذا - هود في سلسلة أخطاء مُدمرة للنص، سنحاول حصرها في أضيق نطاق ممكن لتسهيل المسألة على القراء غير المتخصصين، فهم لم يتمكنوا من تمييز الكثير من إشارات ودلالاته، مثلاً، لم يفتنوا إلى المعنى الذي ينطوي عليه وجود كلمة (عُبر) في جملة واحدة مرتين (وعبر - صن - وعله - م - جنب - وعبر - حصرون)؟ فهل أراد سارد النص الإشارة لموضع يدعى صن، ثم القول: وتمر ثانية بموضع يدعى حصرون؟ أم أن الكلمة ذاتها تمّ استخدامها وتوظيفها لأداء معنيين مختلفين؟ سوف تكشف لنا قراءة دقيقة للنص عن سوء الفهم الذي وقع فيه المترجمون؛ فسارد النص أراد من (عُبر) في المرة الثانية معنى آخر غير معنى المرور، وذلك حين كرّر الكلمة في الجملة القصيرة ذاتها. وهذا يعني أنه أراد الإشارة إلى (وادي عُبر) الذي يمكن الوصول إليه من وادي حضر (حصرون في البناء العبري).

يقع وادي العبر - والذي لا يزال يحتفظ باسمه - في محافظة عمران، مديرية ثلاء عزلة بني العباس. ومحافظة عمران تقع شمال العاصمة صنعاء وتبعد عنها بمسافة حوالي (50 كم) تقريباً وتتصل بمحافظة صعدة من الشمال وبمحافظة صنعاء من الجنوب، وبمحافظة حجة والمحويت من الغرب، وبمحافظة الجوف وصنعاء من الشرق. وعمران اليوم مدينة تبدو من الناحية المعمارية، مدينة متناقضات هندسية، حيث تتألف من وحدات عمرانية تنتمي للمدينة القديمة، ومن وحدات أخرى تنتمي لمدينة حديثة. لكن المباني القديمة بوجه العموم، لا تزال في فضاء معماري متناغم داخل الأسوار القديمة التي أنشئت لحمايتها، أما المعماريات الحديثة، فقد حرص المهندسون على أن تظل خارج الأسوار. وتنتشر في مدينة عمران القديمة العديد من مباني اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة، ولكن معظمها تعرض للاندثار والانحيار جراء الإهمال، ولم يبق منها سوى القليل الذي يدلّ

على الذكريات ومن غير شك، فإن اسم عمران يرتبط في الذاكرة العربية - الإسلامية باسم والد النبي موسى (موسى بن عمران). وحتى اليوم يوجد في ظفار مرقد يضم - ما يزعم - أنه رفات النبي عمران؟ وثمة علاقة أكثر من دلالية بين اسم عمران هذا واسم التلّ المصري تل العمارنة (عمرم في التوراة) الذي عثر فيه علماء الآثار على لقي وسجلات تاريخية هامة، وهو ما يحملنا على الاعتقاد بوجود معبود قديم²⁹ سابق على التوحيد عرف بالإله عمران (واهب الذكور³⁰). واسم عمر، وعمير، يعني (عضو الذكورة) وهذا ما شرحته بإسهاب في مؤلفي (أساف ونائلة: أسطورة الحب الأبدي). وكل هذا يؤكد عمق ديانة الخصب القديمة في اليمن، حيث عبادة الأعضاء التناسلية الذكورية والأنثوية. ولقد كشف علماء الآثار مؤخراً عن معبد كان مكرساً لإله قبيلة ذي مرثد (أو ما تطلق عليه النقوش (ب / ن / و / م / ر / ث / د / م)) وهو الإله (المقه) الإله الرسمي لدولة سبأ. وهذا المعبد هو أحد المعابد المنتشرة في أراضي عمران وقاع البون وصنعاء وشبام كوكبان. كما تؤكد النقوش أنه كان يحمل اسم (ه ر ن) ويتميز عن غيره من المعابد بأنه معبود مختص بمنح الأولاد الذكور.

ومن الأودية والسهول في عمران، قاع البون الذي تقدر مساحته بـ 606 كيلومتر تقريباً، ويمتد من جنوب المدينة إلى شمالها. ومن اسم القاع (اخترع) التوراتيون مملكة اسمها بلاد بونت؟ لمجرد أن الاسم يظهر في صورة بونت، وهذا رسم يماني نجده في النقوش، فاسم قریش مثلاً يكتب: قرشت بإضافة التاء الأخيرة اللاصقة، ومثل فلس في فلس. وزعم هؤلاء المخترعون، أن بونت هي أرض الصومال (ولذلك أطلق المستعمرون اسم أرض بونت على جزء من الصومال المقسم تيمناً بالاسم التوراتي)؟ كما أن القاع هو ذاته في التوراة تقوع - قوع (والتاء حرف لاصق). أمّا البون فهو من أشهر القيعان اليمنية وأكثرها خصوبة. وفي هذا الفضاء الجغرافي يظهر وادي حضر - حصرون على مقربة من وادي العُبر بالفعل، وضمن مديرية بني مطر أكبر مديريات محافظة صنعاء. ويبعد عن وادي بناء - بنا في التوراة نحو 50 كيلومتراً، وهو اليوم يعاني الجفاف طوال أيام السنة بعدما كان دائم الجريان. وبالطبع فوادي حضر اسم لا علاقة له باسم جبل ووادي حضور.

والآن، نعود إلى النص مرة أخرى:

حين بدأ يشوع بمطاردة القبائل الوثنية، فقد بلغ جبل عزا (وليس غزة). وجبل عزا هذا يقع في الفضاء الجغرافي لجبل قدس ومسرح المعارك الدائرة في محيطه، وهو عند التخوم الجبلية

لمحافظة تعز مع محافظة الضالع تماماً، وهو اليوم حصن مشهور في عزلة حيسان من مخلاف بعدان، وأصبح ضمن التقسيم الإداري الجديد لليمن ضمن محافظة إب، ويدعى باسمه القديم: جبل عز. وقد لاحظ باحثون يمنيون (في: نتائج المسح السياحي لليمن) أنه حصن حميري الأصل، دارت عند سفوحه أحداث تاريخية وخاصة في العصر الإسلامي (القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي - فترة الدولة الصليحية). كما أن المقحفى ذكره في (معجم البلدان والقبائل اليمنية) كحصن حميري شهير في مديرية الشعر من أعمال محافظة إب، وأن الأتراك استخدموه كموقع عسكري. ولأن نص يشوع يقول أنه طارد القبائل في جبل عزا وفي أرض جوسن (جوشن) ففي هذه الحالة، يجب أن تكون جوسن في الفضاء الجغرافي نفسه. تقع جوسن وهي اليوم قرية جبلية جميلة في جبل حرير بمحافظة الضالع. وجبل حرير هذا يمتد في سهل الضالع وترتفع أعلى قمة فيه نحو (7800 قدم) عن مستوى سطح البحر، ويتميز عن سواه من الجبال في المنطقة بكثرة المنخفضات ذات التربة الزراعية الخصبة - التي حولها السكان والمزارعون النشطاء إلى مدرجات زراعية ساحرة - وبالطبع فإن تسمية جبل حرير تسمية حديثة، بينما حفظت لنا القرية القديمة جوسن، اسم الأرض التي دارت فيها معارك يشوع. وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على خارطة اليمن، فسوف نشاهد مسرح الحدث التوراتي هناك داخل مساحة جبلية وعرة، تمتد من جنوب تعز - حيث جبل قدس المبارك - وصولاً إلى تخوم المحافظتين المجاورتين: الضالع وإب. لكن، ماذا عن مضمون جملة (قدس - برنع)؟ ماذا تعني بالضبط؟ إن لمن المدهش حقاً، أن نعلم أن اليمنيين يسمّون جبل قدس المبارك

بقمته الشامخة وجماله الخلّاب في الصورة التالية: قدس ذا البرع؟ ويمكن للزائر، أن يسمع التسمية من أفواه السكان بشكل تلقائي وهم يتغنون بجماله. والبرع هذا، هو الجبل الشهير برع المحاور لجبل قدس؟ وفي الواقع، يطلق اليمنيون على قدس هذا ثلاثة أسماء أخرى مجاورة له: الحاز من قدس - إلحاز في التوراة، قدس ذا البراع - برنع، وأخيراً حوبان قدس، وهي سلسلة صخرية ووديان متصلة بقدس. أما جبل برع الذي اشتق منه اليمنيون وصف قدس ذا البراع، تماماً كما في التوراة، فيضم عزلة شمير - شمير في التوراة ويشتهر بمحميته الطبيعية الساحرة شرق مدينة الحديدة وعلى بعد 50 كم. والحديدة يحدها من الشمال عزلة الفائش - إلفاس - إلفاز، والمنوب - نوب، وعزلة بني سليمان ومن الجنوب الوادي الأسود، وتقع في الجهة الغربية لليمن على ساحل البحر الأحمر، وتبعد عن العاصمة صنعاء حوالي (226 كم) على خطي العرض (14° - 16°) شمال خط الاستواء، وبين خطي الطول (42° - 43°) يحدها من الشرق أجزاء من محافظات إب وذمار

وصنعاء والمحويت وحجة، ومن الشمال محافظة حجة، ومن الجنوب محافظة تعز، ومن الغرب البحر الأحمر. وحسب نصوص التوراة، فقد كان الوصول إلى قدش - قَدَس، يتطلب بلوغ جبل الأموريين - العموريين (والمترجمون للأسف يتجنبون رسم الاسم بحرف العين مع علمهم أن هذا الحرف من أصل الاسم فيرسمونه في صورة الأموريين وليس العموريين). وهذا ما يقوله سفر التثنية، الإصحاح الأول: 19 - 20)

في طريق جبل الأموريين، كما أمرنا الرب إلها. وجئنا إلى قادش برنيع فقلت لكم: قد جئتم إلى جبل الأموريين الذي أعطانا الرب إلها

נָסַע מִחֶרֶב, וַיָּלֶךְ אֶת כָּל-הַמִּדְבָּר הַגָּדוֹל וְהַנּוֹרָא הַהוּא אֲשֶׁר רָאִיתֶם דֶּרֶךְ הָרֶמְלִי, כְּאֲשֶׁר צִוָּה יְהוָה אֱלֹהֵינוּ, אֲתָנוּ; וַנָּבֵא, עַד קִדְשׁ בְּרִינֵעַ. וְאָמַר, אֲלֵכֶם: בְּאֶתֶם עַד-הָרֶמְלִי, אֲשֶׁר-יְהוָה אֱלֹהֵינוּ נָתַן לָנוּ

عد - قدش - برنع - عمر - لكم - بعتم - عد - هر - ها - عمري (وعند قدس برنع قلت لكم ها قد وصلتكم حتى جبل الأموريين)

ومن المؤكد أن هذا الوصف لا ينطبق بأي صورة من الصور على مدينة القدس العربية، بينما نجد جبل قدس وعلى مقربة منه سائر المواضع التي تذكرها التوراة، ومنها جبل بني عامر (العموريين) وهو اليوم - ضمن التقسيم الإداري الحديث لليمن - في محافظة ريمة التي تم استحداثها خلال العام 2004، وتبعد عن العاصمة صنعاء بحدود 200 كيلو متراً، وتتميز بطبيعة وعرة وجبال شاهقة في الارتفاع، ومن أهم مدنها الجبين - عاصمة المحافظة - حيث تعدّ الزراعة من أبرز أنشطة السكان فيها، وهم لا يزالون حتى هذه اللحظة يتحدثون باللهجة الحميرية القديمة (بتفخيم حرف القاف واستخدم حرف الكاف في المتكلم والمخاطب وحرف الشين في التسوييف). ومن المنظور الجغرافي يصبح جبل بني عامر جزءاً من جبال تعز، وفي الآن ذاته متصلاً بجبال صنعاء وبجزء من محافظة الحديدة من الشمال، ومحافظة ذمار من الجنوب. ها هنا قدش وعزا وجبل العموريين.

النص الثاني:

يقول يشوع ما يلي: ومن - عُبر - صنه، ثم تصعد من جنب إلى قدس وبرع

في هذا النص يكرر يشوع وصفه لجبل قدس - ولكن عبر سراة جنب التي تسمى سراة عبيد - حيث يمكن للسائر أن يصل إليه حين يجتاز جبل صنة. والملاحظ في النصين، أن يشوع لا يقول البتة أن قدس هي أورشليم؟ فمن أين استمد المخیال الاستشراقي الغربي فكرته الزائفة أن القدس هي أورشليم؟ وكنت حددت في صفحات سابقة المواضع المذكورة. إن القدس (العربية الإسلامية) لا تعرف سراة جنب ولا جبل صنة؟

النص الثالث:

في سياق رواية توزيع الأرض على القبائل، وتحديد منازل سبطي نفتل - نفتلي وسبط منسه من بني يوسف، يقول يشوع ما يلي:

فقدّسوا جبل قدس في الجليل في سراة نفتلي

وإذا ما أمعنا النظر في خريطة جبل قدس جنوب تعز - انظر الصفحة السابقة - فسوف نجد بني يوسف (بقايا سبط - قبيلة يوسف) في مكانهم التاريخي وباسمهم نفسه بين جبلي سامع - سامع التوراة، وجبل نفتل (الذي يدعى اليوم جبل الصلو). وهذه السلسلة الجبلية كلها، هي ما كان يدعى الجليل اليميني. واسم الجليل مستمد من توصيف المنطقة التي تشتهر بزهرة الثمام التي تدعى (الجليل). وإلى جوار قدس، جبل صنه، تماماً كما في وصف يشوع، ولا يزال جبل صنه هذا باسمه وقبائله، كما نجد يشموت (ما يدعى اليوم مديرية الشماتين - من المفرد يشمت³¹) وسائر المواضع الأخرى.

وها هنا مرة أخرى، لا يقول يشوع أن قدس كانت تدعى أورشليم؟

لقد تخيل التوراتيون أن اسم (جبل قدش وجبل برنع) هما اسم واحد لمكان يُدعى (قدش برنع) بقراءة الحركة الإعرابية - الكسرة - كحرف، وذلك ناجم عن خطأ في قراءة الجملة، لأن النص العبري يخلو من الفواصل الدقيقة بين الكلمات. ولذا حدث تخيل مثير للموضعين، جرى في سياقه وعلى نحو محموم، البحث دون جدوى عن مكان مقدس في فلسطين يُدعى (قادش برنع). كل ما في الأمر أن يشوع وعلى غرار ما يفعل اليمينيون اليوم، يسجل اسم جبل قدس في صورة قدش - برع (النون هنا حرف لاصق وهو نفسه أداة التعريف

المنقرضة التي تدخل على الأسماء) نسبة إلى مكان آخر اسمه برع. وتاماً كما ينطق اليمانيون المعاصرون اسمه اليوم، فهم يقولون: قدس ذا البرع..

هنا مقارنة بين نصّ يشوع ونصّ الهمداني

نص يشوع

ء - ءدم - م - دبر (..) م - جنب ل - قدش - برنع - وعبر -
حصرون - ويعله - ء درا

(أديم من البرية (..) من جَنب إلى قدس، وبرنع، عُبر وحضر،
وأدرا)

نص الهمداني 133 - 137

نقل السود من صنعاء ويهريق في جانبه الأيمن جنوبي حضور

(..) وجبل برع،

فبلد بني حارثة ويرد، فأدرا - ن وجنب، ووادي أديم وجبال ت ذات

السريح

(ذي السريح ثم قدس - المحقق)

ما يقوله هذا النص واضح بما فيه الكفاية: فالسائر على خُطى يشوع والهمداني في سراة المصانع من صنعاء أي سراة جنب [د] يمكنه أن يصل إلى وادي أديم - آدم ٥٦٨ ويتجه نحو جبل قَدَس المبارك³² - بالفتح - وهو قدس المعافر إلى الجنوب من تعز، عبر جبل برع - برنع³³ صاعداً إلى جبل ء درا - أدري وجبل صنة.

وهاكم مقارنة أخرى تكشف عن التماثل حتى في بناء النص:

سفر يشوع

الهمداني: 186

(وتصعد من جَنْب)

(رجع من جنب)

الجملة في العبرية:

م - جنب וְجַנְבָּהּ

מַגִּיד מִן جَنْب

لقد توهم المترجمون أن كلمة جنب في نصوص يشوع، هي ذاتها كلمة (جنبه) العبرية بمعنى جنوب، ولم يلتفتوا إلى أن سارد النص يستخدم الكلمتين معاً (جنبه) و(جنب) على التوالي في سياقين ومعنيين مختلفين. ومن غير المحتمل بالطبع، أن لا يكون سارد النص متأكداً من وجود المعنيين المختلفين في الكلمتين، وهذا ما يفسر لنا سبب استخدامه لهما. لقد وظف سارد النص الكلمة الأولى (جنبه) في معرض إشارته إلى عين ماء تُدعى (جنباً - جنبه) بينما أراد من الثانية (جنب - جنب) سراة جبلية بعينها هي التي تدعى حالياً سراة عبيد المتصلة بصعدة العاصمة الروحية القديمة لليمن ثم بصنعاء. ولذا استخدم الفعل صعد (وعله - جنب). وهذه السراة، سراة جبلية عظيمة تؤدي إلى جبل قَدَس المعافر.

ولأن قَدَس هو الجبل المبارك بالنسبة لليمنيين القدماء في جنوب تعز، يقع في قلب سلسلة جبال السريح، فقد استخدم سارد النص تعبير (وعله - م - جنب) بمعنى و(صعد من جنب). وهذا ما نجده عند الهمداني أيضاً، فهو يشير إلى أن السائر نحو جبل قَدَس وجبل برع - برنع، سوف يصعد سراة جنب ثم جبل أدره - أدرى.

ونظراً لورود الكثير من هذه الأسماء في قوائم سابقة قمنا بتحليلها، فسوف أكتفي بتقديم عرض وتحليل سريع ومقتضب بالمواضع التي لم نتحدث عنها. وسوف نبدأ من الأسماء التالية:

ضين: يقع جبل ضين شمال صنعاء وهو من أقدس الجبال وفيه بني مسجد صنعاء بأمر النبي - ص -

صنه: عزلة صنه الجبلية في محيط جبل قدس وتقع من الناحية الإدارية في محافظة البيضاء - مديرية الطفة - انظر خريطة قدس -

حضر - حضر: تقع عزلة حضر الجبلية في محافظة صنعاء، وتتبع إدارياً مديرية جحانة

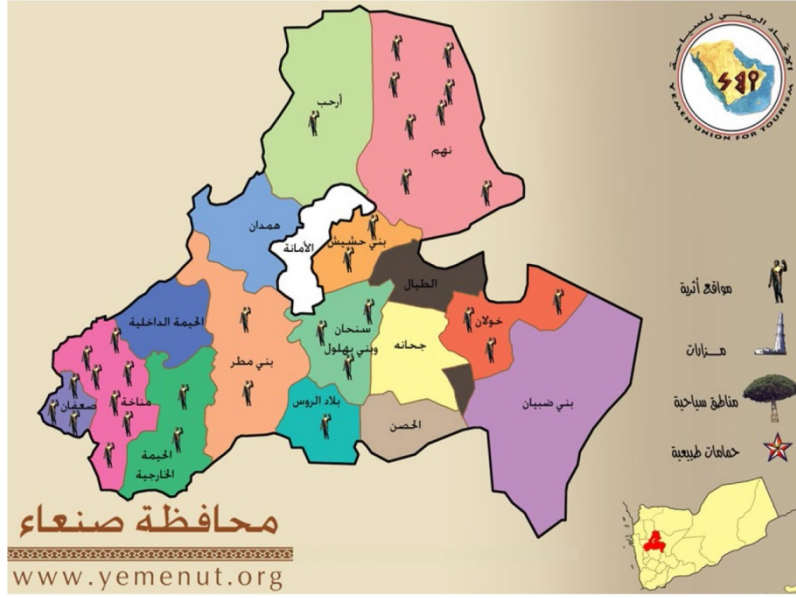
عبر: وادي عبر، وهو من الوديان المعروفة قديماً في محافظة عمران المتاخمة لصنعاء (ويتبع مديرية ثلاء عزلة بني العباس) حيث توجد قرية تسمت باسمه (قرية وادي العبر)

عدري - ذري: يقع جبل ذري (عدري - العبرية لا تعرف حرف الذال المعجم وترسمه بالذال المهمل) في مدينة شهارة التابعة إدارياً لغرب صنعاء، أي في المكان نفسه لسائر المواضع السابقة. وهو جزء من سلسلة جبلية متشابهة من ناحية التركيب الطبيعي وتعرف تاريخياً بسلسلة جبال الأهنوم - هنوم، نسبة إلى قبائل الأهنوم التي تسكنها. وفي هذه السلسلة يمكننا رؤية جبل ذري الشامخ باسمه التوراتي وفي المكان الذي وصفه يشوع.

أدم: وادي أديم في مديرية الشمايتين

دبر: دبر، وهي هجرة قديمة (أي مدينة آمنة) تسمى اليوم بالاسم نفسه (دبر) لم يتبق منها سوى الأطلال في وادي الفروات من مديرية سنحان، شرق صنعاء (نحو 32 كيلومتراً). وقارن بين اسم فروات وفراة في التوراة التي جرى تخيلها على أنها الفرات العراقي؟

رسم توضيحي لدار - شلم والمناطق المحيطة بها





بيت بوس الحصن الجميل الذي استولى عليه داود

مصادر ومراجع الكتاب

1. التوراة، النص العبري תורה נביאים כתובים כערכית ונגלית תורה - נביים - כתובים -
בעברית - וءنكلیت

2. THE SOCIETY FOR DISTRUTING HEBREW

3. SCRIPTURES 1Rectory Lane. Edgwarte. Middles H A87LF
. UENGLAND

4. هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة خالد أسعد وأحمد غسان سباتو، دمشق، مؤسسة
رسلان علاء الدين 2002

5. جواد على: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت،
الطبعة الثانية - 1980م

6. مطهر علي الإرياني: نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني،
صنعاء 1990

7. بافقيه، محمد عبد القادر، الفريد بيستون، ك. روبان ومحمود الغول، مختارات من
النقوش اليمنية القديمة، تونس

8. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (صفة جزيرة العرب) تحقيق العلامة
محمد بن علي الأكوغ - سلسلة خزانة التراث، دار الآفاق التابعة لدائرة الشؤون الثقافية العانة،
بغداد 1989

9. ابن الكلبي: أبو منذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي - المعروف بابن الكلبي: (الأصنام) تحقيق: أحمد زكي، الناشر، دار القومية للطباعة والنشر - القاهرة 1965

10. الحموي: الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة 626 هجرية (معجم البلدان) تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1990

11. البكري: أبو عبيد بن عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، الوزير الفقيه المتوفى سنة 487 هجرية (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) حققه وقدم له ووضع فهرسه الدكتور جمال طلبة، دار محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998

12. الطبري، تاريخ الملوك والرسل، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر 1968

13 - ابن المجاور، تاريخ المستبصر، موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

14. ابن المجاور: تاريخ المستبصر - المحقق: ممدوح حسن محمد الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة 1996

سيرة ذاتية

- مفكر وباحث عراقي ولد في بغداد 1952
 - تخصص في الميثولوجيا (علم الأساطير) ودراسات الكتاب المقدس واللغة العبرية
 - حصل على جوائز أدبية وشهادات تقديرية رفيعة
 - فاز مؤلفه (أبطال بلا تاريخ: الميثولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية) بالجائزة الأولى للإبداع الثقافي كأفضل كتاب في الدراسات الأنثروبولوجية - الإنسانية والمستقبلية، القاهرة 2006 (مؤسسة الشاعر السعودي الراحل ناصر باسراحيل)
 - حاصل على درع الرواد والمبدعين العرب (مهرجان وملئقى الرواد والمبدعين العرب - من مؤسسات الجامعة العربية) 2008
 - نشر عدداً من المؤلفات في القصة والرواية والأدب والتاريخ الاجتماعي والسياسي العراقي والعربي والأنثروبولوجيا منها:
- 1: الشيطان والعرش (رحلة النبي سليمان إلى اليمن) بيروت، شركة رياض الرئيس 1996
 - 2: إرم ذات العماد: البحث عن الجنة - بيروت، الرئيس للنشر 1999
 - 3: كبش المحرقة: نموذج مجتمع القوميين العرب (طبعان): الرئيس للنشر، بيروت 2000، دار الفرق - دمشق 2006

- 4: شقيقات قريش (الأنساب والطعام في الموروث العربي) بيروت، الريس للنشر 2001
- 5: يوسف والبئر (أسطورة الوقوع في غرام الضيف) بيروت، شركة رياض الريس للنشر، 2008
- 6: أبطال بلا تاريخ: الميثولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية (طبعتان) دمشق دار قدمس للنشر، 2003، والفرقد 2005
- 7: قصة حب في أورشليم (غرام النبي سليمان بالإلهة العربية سلمى) دار الفرقد للنشر، 2005
- 8: الجماهيريّات العنيفة ونهاية الدولة الكاريزمية - دمشق، دار الأهالي 2005
- 9: الخوذة والعمامة: موقف المرجعيّات الدينيّة من الاحتلال الأمريكي للعراق - دمشق، دار الفرقد 2006
- 10: ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولنياليّات البيضاء - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة 2007
- 11: فلسطين المتخيّلة: ارض التوراة في اليمن القديم (مجلدان - خمسة كتب) دمشق، دار الفكر 2007
- 12: الأسطورة والسياسة (بالاشتراك مع الباحث الراحل تركي علي الربيعو) منشورات دار الفكر - دمشق 2007
- 13: العسل والدم: من عنف الدولة على دولة العنف، دار الفرقد، دمشق 2008
- 14: من مجتمع القهوة إلى مجتمع الشاي: دولة الكانتون القبلي، دمشق، مركز الغد 2009
- 15: المسيح العربي: النصرانية في جزيرة العرب والصراع البيزنطي - الفارسي بيروت 2009 شركة الريس للنشر

16: القدس ليست أورشليم: مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين، بيروت، الرئيس للنشر

2010

17: حقيقة السبي البابلي - بيروت - دار الجداول 2011

18: غزال الكعبة الذهبي - بيروت - الجداول - 2011

19: المراثي الضائعة - مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين - الجداول - بيروت 2011

20: المناحة العظيمة: جذور ثقافة البكاء في الجاهلية - دار الجداول - بيروت 2011

21: أساف ونائلة: أسطورة الحب الأبدي في الجاهلية - دار الجداول - بيروت 2011

22: في ثياب الأعرابي: الأصمعي أمام الأنثروبولوجيا العربية - الرياض - 2012

Notes

[1←]

دار الفكر، دمشق 2009

[2←]

ومن هذا الجذر الثلاثي الذي استخدمه العرب القدماء في طفولتهم البعيدة، جاء اسم العاصمة الصومالية (مقديشو). والميم في أول الاسم كما سوف نبرهن، أداة تعريف منقرضة استخدمت في اللهجات اليمنية القديمة.

[3←]

يشوع 18:16 (يبوص – بحرف السامك)

[4←]

ورد في كتاب «الإكليل» للهمداني عن نسب الديان (دايان) ما يلي: (والغوث أولد دايان). ويعلق محقق الهمداني على النسب بقوله: وتوجد (في) مخلاف حضور مقاطعة يقال لها مخلاف دايان، ودايان أيضاً في منطقة حراز – الإكليل: 2: 25).

[5←]

كتب هرتزوغ Herzog في نهاية عام 1998 ما يلي: إن علماء الآثار الذين عملوا بحماسة منذ بدايات القرن – الماضي – بحثاً عن مواد تؤكد ما جاء في العهد القديم، لم يجدوا أي شيء. ولكن، كلما ظهر شيء ما على السطح؛ كلما تأكد لنا بوضوح أن الكثير من قصص العهد القديم ليست صحيحة (فمن عهد داود وسليمان لم نجد سوى بضع قطع من الفخار، لا تتطابق مع وصف التوراة. لقد وجدنا، بالفعل قطعاً من عصور مختلفة، متأخرة وحديثة، وهو ما يعني أن المنطقة كانت مأهولة. بيد أن أيّاً من المكتشفات لا تبين أنها تنتمي إلى عصر داود وسليمان) – انظر للمزيد مؤلفنا: شقيقات قريش – بيروت 2002

[6←]

قارن بين المفاليس وأومفاليس الكلمة الإغريقية – انظر الهامش التالي

[7←]

المثير للاهتمام في هذا النطاق أن الإغريق عبدوا – تحت تأثير معبودات وآلهة الفينيقيين – معبوداً يدعى (أمفالس) Omphalos وهو عبارة عن حجر مخروطي وجد في معبد أبولو (هبل). لقد قدّس الإغريق هذا المعبود بوصفه رمزاً لسرة الأرض (سرة العالم). هذا المعبود يحيلنا إلى اسم الفلاس ووظيفته، فهو أيضاً رمز (لسرة الأرض) والفلس في اللغة: السرة. وما يلفت الانتباه أكثر أن كلاً من الفلاس و(أمفالس) عبدا بوصفهما رمزاً لإله الخصب، وتكمن رمزيته الجنسية المقدسة في الشكل المخروطي للعضو الذكري. كما يلفت الانتباه أكثر التماثل بين الاسمين (أمفالس، ومفاليس ولاحظ الهمزة والميم مثل عم رجل في الرجل). للمزيد: انظر الكتاب الخامس من فلسطين المتخيلة (التوراة الإغريقية)

[8←]

اليمنيون القدماء ينطقون الحاء المهملة خاء معجمة تماماً كما عند اليهود اليوم. وبيت لحم اليمنية ورد ذكرها في قصة مشهورة في مطلع الإسلام، عندما جاء تميم الداري اللخمي إلى النبي محمد - ص - (وكان سائحاً في الجاهلية طاف على البلدان) فقال للنبي - ص -: إن الله مظهرك على الأرض جميعاً فهب لي قريتي من بيت لحم. فلما كان يوم فتح الشام، قال عمر بن الخطاب - رض - أشهد أن النبي - ص - كتب لتميم الداري - اللخمي - ببيت لحم. ثرى لماذا يطلب رجل يماني من قبيلة لحم، بحق ملكية قرية بيت لحم في فلسطين بوصفها من أملاك قبيلته المهاجرة من اليمن إلى بلاد الشام، لو لم تكن هناك رابطة حقيقية بين القبيلة لحم والقرية بيت لحم؟

[9←]

حريشه: اليمنيون يزيدون الهاء في آخر الكلمة فيقولون في وادي بيش - بيشه.

[10←]

انظر كتابنا: شقيقات قريش ففيه تفصيلات وافية عن أساطير براقش. (شقيقات قريش: الأنساب والطعام في الموروث العربي - بيروت، رياض الريس للنشر 2000)

[11←]

معين: مملكة يمنية مزدهرة لعبت دوراً بارزاً ومشهوداً في الحضارة اليمنية القديمة. عاش الشعب المعيني في منطقة الجوف في عصر يعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، عندما كانت الجوف (ما يعرف اليوم بمنطقة الحزم شمال شرق اليمن) هي المنفذ التجاري الأهم الرابط بين جنوب وشمال الجزيرة العربية. ولا تزال نقوشها تتضمن الكثير من وقائع التاريخ غير المكتوب بعد. وإلى هذا فإن بعض الحروف التي استخدمتها تشبه طريقة رسم الحرف العبري.

[12←]

انظر الاسم في مراثية حزقيال لمدينة صور.

[13←]

تخبرنا التوراة أن ء ليفاز - أليفاز (أليفاز في الرسم الشائع) هو من عيصو. وعند الهمداني هم الفانس - باستبدال الزاي بالسين مثل (أزد - أسد) وهم بطن من جبر وجدهم الأعلى العيص - عيصو. أليس هذا التماثل مدهشاً؟ انظر نسب الفانس في الإكليل للهمداني وفي التوراة.

[14←]

الهاء الزائدة من لهجات العرب

[15←]

اسم جيلة اليمنية هذه نقلتها القبائل العربية المهاجرة إلى الساحل السوري وهي اليوم هناك.

[16←]

هنا إعادة تحليل للنص نفسه بسبب الحاجة إلى مزيد من التفاصيل بشأن وصف أورشليم، وهذا ما أملى علينا تكراره

[17←]

لاحظ كيف دخلت الميم كأداة تعريف على الاسم (تحت، أو تحته) فأصبح: تحت

[18←]

هل يمكن لعاقل أن يهمل هذا الاسم: أزد شنوءة؟ هؤلاء قبيلة شهيرة من قبائل اليمن وهم بنو الأسد الذين ورد اسمهم في النقوش والسجلات التاريخية في صورة ملك للأسد: ملك الأزد - أزد شنوءة

[19←]

سبق لهؤلاء المترجمين أن ترجموا الكلمة نفسها (دجيم) وفي مكان آخر وسياق مختلف ولوظيفة مختلفة في صورة (باب السمك) والآن أصبح لدينا مكان ملفق جديد يدعى باب الحوت.

[20←]

الحارق، والميم أداة التعريف المنقرضة هنا. أما الهاء الوسطية فهي حرف صوتي أسقطه تطور اللغة العربية مثل: يهريق الماء: يريق الماء. ومثل بهنسو التي يستخدمها الحضرميون سكان حضرموت بمعنى: ابنه. وهي لهجة معروفة عند القبائل العربية تعرف بلهجة السين ولهجة الهاء.

[21←]

لاحظ استعمال الميم في الاسم. لقد أصبحت ميماً وسطية ولكن وظيفتها ظلت كما هي: أداة تعريف: خرومف: مخارف

[22←]

كما في النقوش اليمنية: ملك للأسد: ملك الأسد، مرله: أمره الله، وهبله: وهب الله، عبدله: عبد الله.

[23←]

: زيادة التاء لهجة يمنية: قريش: قريشت، فلس: فلس

[24←]

بشير عبد الرقيب سعيد حميد - جامعة صنعاء - قسم الآثار 2009

[25←]

في هذه المساهمة (القدس ليست اورشليم) الرئيس للنشر، بيروت 209 بيتاً بوضوح أن القدس لم تُدع قط اورشليم في أي وقت من تاريخها

[26←]

ويبدو أن هذا التساهل، قاد محققي ومترجمي النص العبري والآرامي إلى الإفراط في تحويل الحركات الإعرابية إلى حروف (برنع - برنيع - بتحويل الكسرة إلى حرف ياء). وفاتهم كذلك، ملاحظة أن النون تدخل على الأسماء في أولها ووسطها وآخرها، وأنها في الأصل أداة تعريف منقرضة (ألف ولام: برنع - البرع، أو تهمل في حالات أخرى بوصفها حرفاً صوتياً لا وظيفة له مثله مثل السين الحضرمية بنهسو - ابنه)

[←27]

النون حرف صوتي استخدم كأداة تعريف منقرضة وهو ما أسميناه النون الكلاعية

[←28]

ابن المجاور، تاريخ المستبصر، موقع الوراق <http://www.alwarraq.com> ممدوح حسن محمد - الناشر: مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة 1996

[←29]

وهذا ما يفسر لنا سر وجود اسم عمار - عمران كأب لمريم العذراء (مريم بنت عمران) وبحيث يتوهم البعض أنها أخته؟

[←30]

يعني الجذر عمر - عمير في اللغة العربية: عضو الذكورة

[←31]

بحذف الياء اللاصقة

[←32]

حتى اليوم يطلق اليمنيون لفظة (المبارك) مشفوعة باسم جبل قدس. وهذا أمر مثير يؤكد طبيعة القداسة المستمرة في الراسب الثقافي.

[←33]

وجود النون الوسطية الزائدة يتصل بتقاليد غير مستقرة تخص استخدام أداة التعريف القديمة. لقد كان القدماء من اليمنيين، حائرين في طريقة استخدام أداة التعريف التي نلاحظ أشكال تطورها، من الميم الحميرية والألف والنون الهمزة والهاء وصولاً إلى الألف واللام العربية الراهنة، مروراً باستخدام (الهاء)